



الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة قاصدي مرباح - ورقلة

كلية الآداب واللغات والفنون

قسم: اللغة والأدب العربي



مذكرة بعنوان

سيرة الذات في خطابات التقديم العربية القديمة

مذكرة من متطلبات نيل شهادة الماستر في اللغة والأدب العربي

الميدان: اللغة والأدب العربي

الشعبة: دراسات أدبية

التخصص: أدب عربي قديم

من إعداد الطالب (ة):

- يمينة غربي

إشراف الأستاذ(ة):

- هاجر مدقن

لجنة المناقشة

أعضاء اللجنة	الرتبة العلمية	الصفة	الجامعة
		رئيسا	جامعة قاصدي مرباح ورقلة
هاجر مدقن	مشرفا ومقرراً		جامعة قاصدي مرباح ورقلة
		ممتحناً	جامعة قاصدي مرباح ورقلة

السنة الجامعية: 2025 – 2026 م / 1446 هـ

مذكرة بعنوان

سيرة الذات في خطابات التقديم العربية القديمة

من إعداد الطالب (ة):

- يمينة غربي





شكر وتقدير

الحمد لله حمد كثيرا حتى يبلغ الحمد منتهاه والصلاة والسلام على أشرف مخلوق
أثاره الله بنوره واصطفاه

وانطلاقا من باب من لم يشكر الناس لم يشكر الله أتقدم بخالص الشكر
والتقدير للأستاذة المشرفة

"هاجر مدقن"

على إرشاداتها وتوجيهاتها التي لم تبخل بها علينا يوما، كما أتقدم بجزيل الشكر
والعطاء إلى كل يد رافقتنا في هذا العمل سواء من قريب أو من بعيد والشكر
موصول كذلك إلى أوليائنا الذين سهروا على تقديم لنا كل الظروف الملائمة لانجاز
هذا العمل.

كما لا أنسى أن أشكر جميع الأساتذة والمؤطرين الذين قدموا لنا يد المساعدة وإلى
كل الزملاء والأساتذة الذين تتلمذنا على أيديهم وأخذنا منهم الكثير.

إهداء

﴿وَاٰخِرُ دَعْوَاهُمْ اَنْ الْحَمْدُ لِلّٰهِ رَبِّ الْعَالَمِيْنَ﴾

إلى من رحلت عن الدنيا وبقي أثرها الطيب ودعاؤها يسكن قلبي...

إلى أمي رحمها الله، التي تمنيت كثيرًا أن تشاركني هذه اللحظة، لكنني مؤمنة أن روحها تفرح لي من مكان أجمع،
رحمك الله رحمة واسعة وأسكنك فسيح جناته.

إلى أبي الغالي،

إلى الرجل الذي كان لي السند والقوة بعد الله، والذي لم يخل عليّ يومًا بدعمه واهتمامه ودعواته، لك مني كل الحب
والامتنان، أطال الله في عمرك وحفظك لي.

إلى زوجي العزيز،

شكرًا لأنك كنت خير رفيق وخير داعم طوال هذه الرحلة، ولأنك تحملت ضغوطتي وانشغالي بصبر ومحبة، فوجودك
بجانبي كان مصدر راحة وأمان لا يقدر بثمن.

إلى أطفالي الأحبة،

إلى ضحكاتي الصغيرة التي كانت تخفف عني التعب، إلى من كانوا سببًا لأواصل وأسعى لأجل مستقبل أجمع، أهدىكم
هذا النجاح بكل ما يحمله قلبي من حب.

إلى إخوتي وأخواتي،

إلى من جمعتني بهم أجمل الذكريات وأصدق المواقف، شكرًا لمساندتكم وتشجيعكم الدائم، ودامت محبتنا دائمًا.

إلى صديقاتي العزيزات،

رفيقات الطريق والدراسة، وخص بالذكر صديقتي العزيزة إيمان صدوقي حفظها الله ورعاها التي لطالما رافقتني في هذا
المشوار الطويل، شكرًا لكل لحظة دعم، ولكل كلمة كانت تخفف التعب وتجدد الأمل، فوجودكن كان جميلًا ومميزًا في هذه
الرحلة.

كما أهدي هذا العمل لكل من مدّ لي يد العون، وساندني ولو بدعوة صادقة أو كلمة طيبة، فلكم جميعًا مني خالص الشكر
والتقدير

يمينة غربي

الملخص:

يتعلق موضوع دراستنا حول سيرة الذات في خطابات التقديم العربية القديمة، والتي تعد شكلاً من الأشكال التراثية، التي تعبر عن الذات، وتظهر حضور الأنا وتمثلاتها، وقد سعت هذه الدراسة للكشف عن الملامح السيرية داخل الخطابات التقديمية العربية، مع إبراز أهم الخصائص الفنية والموضوعية التي ميزت كل نوع من الكتابة، منطلقاً من إشكالية مركزية تمثلت في: ما هي ملامح سيرة الذات في خطابات التقديم العربية القديمة؟. معتمدةً على المنهج الموضوعاتي، الذي يركز على تتبع الأفكار داخل النصوص السيرية بين حضور الأنا وطبيعة الخطاب وتمثلات الذات في كل نص على حدا، اذ خلصت إلى أن الخطابات التقديمية هي شكل من الأشكال الكلاسيكية، والتي لم تكتب فقط لمجرد التعريف بأصحابه. بل حملت في طياتها أبعاد سيرية واضحة، تنوعت بين السير الفكرية والأدبية والتاريخية والروحية. بهدف إبراز وعي الكاتب بذاته ورغبته في توثيق تجارب حياته قصد تقديمها للمتلقي.

الكلمات المفتاحية: سيرة الذات، خطابات التقديم، الخصائص، حضور الأنا، تمثلات الذات.

Abstract:

This study examines autobiography in ancient Arabic introductory discourses, which are considered one of the traditional literary forms that express the self and reveal the presence of the "I" and its representations. The research seeks to identify the autobiographical features embedded within Arabic introductory texts, while highlighting the most significant artistic and thematic characteristics that distinguish each type of writing.

The study is guided by a central research question: What are the features of autobiography in ancient Arabic introductory discourses? It adopts the thematic approach, which focuses on tracing ideas within autobiographical texts, particularly the presence of the self, the nature of discourse, and the representations of the self in each individual text.

The study concludes that introductory discourses constitute a classical literary form that was not written merely to introduce their authors. Rather, they contained clear autobiographical dimensions that varied between intellectual, literary, historical, and spiritual autobiographies. These dimensions aim to highlight the writer's self-awareness and the desire to document life experiences for presentation to the reader.

Keywords: Autobiography, Introductory Discourses, Characteristics, Presence of the Self, Self-Representation.

المقدمة

مقدمة:

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أفصح من نطق بالضاد، وعلى آله وصحبه
ومن تبع هداهم بإحسان إلى يوم الدين، أما بعد:

يعد الأدب المرأة العاكسة للإنسان وتجاربه، كما يعد الوسيلة الوحيدة للتعبير عن
الخواطر والرؤى الذاتية، التي تربط الإنسان بالعالم الذي من حوله، إذ يمثل الأدب تفاعلاً
متبادلاً بين الفرد ومحيطه الاجتماعي والتاريخي والثقافي، لذلك قد تنوعت أشكاله، وتعددت
أجناسه بين الشعر والنثر، ليصل عبر هذا الأخير إلى أنواع سردية مختلفة، سعت بدورها
للبحث في تجارب الإنسان عبر مسيرة حياته، وتمثيلها بطرق فنية متميزة ومتفردة. فالأدب لم
يكن يوماً مجرد وسيلة للمتعة والتشويق فحسب؛ بل كان أداة لتوثيق الذكريات وبناء الهويات
الفردية والجماعية عبر سلسلة من التاريخ.

وفي خضم هذا التنوع تظهر السيرة الذاتية بكونها جنساً أدبياً قائماً بذاته. يعمل على
استحضار الذات وترجمة مسارها في الحياة، من منطلق منظورها الشخصي الذي يجمع بين
الذات والواقع، نحو إعادة نسج الذكريات في قالب فني متميز، يمازج بين الصدق الذاتي، والبناء
الفني الجمالي.

مما جعل الدراسات الأدبية تُعنى بهذا النوع الأدبي، لما تطرحه من قضايا تتعلق بتمثيل
الذات، وفق حدود ربطها بالحقائق، وبين الرجوع للماضي واستحضار زمن الحاضر، أي بين
زمن التذكر وزمن الكتابة.

إذ نجد جذور هذا النوع السيري يعود إلى التراث العربي. في حين ظهرت ملامحه الأولى في
أشكال عديدة منها: أدب التراجم - الرحلات - الرسائل - الخطابات التقديمية. والتي تضمنت
إشارات واضحة في حضور الذات داخل نصوصها، من خلال سعيها للتعريف بنفسها وإثبات
ذاتها. ومن هنا قد تتيح لنا دراسة السيرة الذاتية الفرصة لفهم أعمق لكيفية تشكيل وعي الذات

بالثقافة العربية، أو ربما بكشف الأبعاد الفكرية والفنية التي سيطرت على هذا النوع من الكتابة آنذاك،

والسبب وراء اختياري لهذا الموضوع راجع لأهمية الدراسات التي لها علاقة بالتراث العربي القديم وإبراز أهم الملامح السيرية في خطابات التقديمية العربية القديمة، وأيضاً رغبةً مني للغوص في تجربة بحثية حول الدراسات الأدبية النثرية عامةً، والسرديات بصفة خاصة في تراثنا العربي القديم، وقصد نفض الغبار عنها، وإضفاء نور المعرفة والمتعة. إذ يسعى هذا البحث لتحقيق الأهداف الآتية:

- التعرف على المضامين التي تناولتها هذه السيرة الذاتية قديماً؟
 - الكشف عن أهم الملامح التي شكلت السيرة الذاتية في العصور القديمة.
 - الوقوف عند الغايات التي من أجلها كُتبت هذه السيرة.
- ومن منطلق هذه الأهداف تبلورت الإشكالية التالية، والتي كانت الإجابة عنها هي الركيزة الأساسية التي قام عليها بحثي هذا ولعلها أهمها:
- ماهي ملامح سيرة الذات في خطابات التقديم العربية القديمة؟
- ويتفرع منها التساؤلات التالية:
- ما العلاقة بين أدب السيرة الذاتية وأدب التراجم؟
 - ما طبيعة خطاب السيرة الذاتية في خطابات التقديم العربية القديمة؟
 - وكذلك، كيف تمثلت الذات في الخطابات العربية القديمة؟
- واقترضى الحال للإجابة عن هذه التساؤلات باتباع المنهج الموضوعاتي، والذي يقوم على دراسة العمل الأدبي في ناحية تفكيك المضامين النصية.

كما عمدتُ إلى تقسيم هذا البحث إلى مقدمة وتمهيد وأربعة مباحث وخاتمة وملاحق؛ فخصصت الفصل التمهيدي لتعريفات منهجية مرتبطة بالسيرة الذاتية، فتناولت التعريف بأدب السيرة، ثم التعريف بأدب السيرة الذاتية، بعدها أبرزت العلاقة بين هذه الأخيرة وأدب التراجم، فألقيت النظرة على خطابات التقديم، أما المباحث فقد صنفت هذه السيرة إلى مباحث أربعة: تناولت خلالها في: المبحث الأول: سيرة الذات العلمية، وتضمنت أربعة مطالب؛ والمبحث

الثاني: سيرة الذات الأدبية، وتضمنت أربعة مطالب؛ بينما المبحث الثالث: سيرة الذات التاريخية، فقد تضمنت أربعة مطالب أيضاً؛ وفي الأخيرة سيرة الذات الروحية وتضمنت مطلبين إثنيين، ثم ختمت البحث بخاتمة ضمت مجموعة من النتائج. تم اتبعت البحث بملحق تطرقت عبره لوصف الكتاب والتعريف بالمدونة مدعمة إياه بجدول تلخيصي يبين خصائص كل نوع من السير على حداً.

ومن بين الدراسات السابقة التي سبقتني في الدراسة حول هذا الموضوع، منها عدة مقالات:

- المقال الأول: "فن السيرة الذاتية وأنواعها في الأدب العربي الحديث" للدكتور عبد المجيد البغدادي. المقال الثاني: "السيرة الذاتية في الأدب العربي القديم" للدكتور أحمد دواح. أما المقال الثالث: أدب السيرة الذاتية في التراث العربي لعلاء علي عابدة.

فأثناء عملية البحث، قد استقيت مادة بحثي من مصادر ومراجع عدة منها:

- مدونة البحث: كتاب ذخيرة الذات لمحمود عبد الغني.
- ومراجع أساسية جعلته ينبض بدعامة قوية في إطارها النظري والتطبيقي معاً:
- كتاب "عتبات المحكي القصير" لهاشم أسمر.
- كتابة الذات "دراسات في السيرة الذاتية" للدكتور صالح معيض الغامدي.
- كتاب الترجمة الشخصية لشوقي ضيف.
- كتاب "فن السيرة" لإحسان عباس.
- كتاب "الترجمة الذاتية في الأدب العربي الحديث" ليحيى إبراهيم عبد الدايم.
- كما لا يخلو أي بحث من العثرات والصعوبات ولعل أهمها:
- قلة المراجع والأبحاث المتوفرة بالنسبة للجانب التطبيقي.
- تفرع الموضوع وتشعبه في عدة اتجاهات، مما ألزمتني بالبحث المعمق في الدراسة حتى أحقق النتائج المرجوة.

وفي الأخير أتقدم بجزيل الشكر والامتنان لأستاذتي الفاضلة هاجر مدقن على الجهد الذي بذلته معي في تصويبي وتوجيهي وجزاها الله عنا خير الجزاء، والشكر موصول إلى لجنة المناقشة التي ستثري هذا البحث بتوجيهاتها لأخطائي. وأرجو أن أكون قد وفقت في الإحاطة بجوانب الموضوع والإلمام بها، سائلة المولى عز وجل التوفيق والقبول.

يمينة غربي/ ورقلة في : 07 ماي 2026

تہذیب

تمهيد

إن أعظم سيرة في تاريخ البشرية سيرة الرسول ﷺ، لأنها حاكت حياته من كل الجوانب، مَوْلَدُهُ، نشأته، غزواته وحياته بكل تفاصيلها وما يتصف به من أخلاق وخلق. وتأثيرًا لما سبق طرأت السيرة على الساحة الأدبية كفن له خصوصيته و مميزاته ومنهاجه الخاص الذي يكتب به، حيث اختلفت السيرة باختلاف محتواها النصي الداخلي، ولأن دائما من أحب الأمور للقراء تتبع مسار الأدباء والعظماء والنبياء المشهورين و البحث والتنقيب حول تاريخ أعلامهم البارزين، جاء هذا النوع من الأدب مترجما لحياتهم بكل تفاصيلها راسمًا معالمها ضمن أنواع عدة منها : (سير غيرية، سير شعبية ... وأخيرا سير ذاتية) والتي هي صدد الدراسة و موضوع بحثنا الآن.

وبناء على هذا فقد عمدت إلى تقديم بعض التعاريف حول : أدب السيرة، السيرة الذاتية، أدب التراجم ثم علاقته بالسيرة الذاتية ثم خطابات التقديم و وصف عنوان الكتاب و التعريف بالمدونة.

1. تعريف أدب السيرة

1.1. تعريف الأدب :

1.1.1. لغة: جاءت كلمة الأدب في معاجم اللغة العربية على عدة تعاريف نذكر منا أدب: "الأَدَبُ: الذي يتأدب به الأدب من الناس، سمي أدبا لأنه يأدب الناس إلى المحامد، وينهاهم عن المقايح، والأدب أدب النفس والدرس والأدب الظرف وحسن التناول." ¹ فيفهم فيما سبق ذكره أن الأدب إعطاء الصورة الحسنة المتسمة بالصفات الحميدة، والبعيدة عن القبح والشناعة.

2.1.1. اصطلاحا : لقد حظي مصطلح الأدب نصيباً وافراً حول تعريفه من قبل الدارسين والباحثين ونذكر منها: " الأدب هو الإنسان، بكل ما للكلمة إنسان من معنى، لأنه يصدر عنه، ويعود إليه ويتحدث عن همومه وشؤونه ومشاغله، وهو في كل ذلك إنطلاق حر لا يمكن تحديده، لأن النفس الإنسانية بعيدة الغور، مترامية الأبعاد ومن العسير قوننتها وإخضاعها للتحليل العلمي الصرف.

لا ننكر أن مفهوم الأدب اليوم يشمل علوم اللغة، والنقد و الأخبار و الموسيقى والتاريخ والفلسفة، والدين وسوى ذلك بإعتبار أن هذه العلوم ضرورية لفهم أدب الكثير من الشعراء

¹ ابن منظور- لسان العرب، دار المعارف، النيل، القاهرة، تج : عبد الله علي الكبير، محمد احمد حسب الله، هاشم محمد

الشاذلي، (دط)، (دت)، ص 2.

والأدباء، ولأنها لصيقة بحياة الكائن البشري، لا يمكنه الإستغناء عنها، وهي من مقومات حياته اليومية...¹؛ وما آل إليه القول التالي أن الأدب ملازم للإنسان يحاكي إنشغالاته ويغوص فيها، ولا يمكن للأدب أن ينفصل عن علوم اللغة والنقد والأخبار... إلخ، لأنه يعبر عن مكنونات أصحابها.

2.1. تعريف السيرة :

نلقي الضوء أولاً على تعريف السيرة لغة ثم نخرج إلى التعريف الإصطلاحي:

1.2.1. لغة :

تعددت المفاهيم اللغوية لكلمة السيرة، وقد وجدتها في المصادر متنوعة. فمثلاً يعرفها ابن منظور في كتابه «لسان العرب» بأن: "السيرة : الطريقة : يقال سار بهم سيرة حسنة، والسيرة : الهيئة، وسير سيرة : حدث أحاديث الأوائل..."². أي أعاد أقاويل الأوائل وسار على خطاهم. وفي كتابنا العزيز جاء معنى السيرة في قوله تعالى: ﴿وَسَنُعِيذُهَا بِمَا بَلَغَهَا وَأَوَّلَىٰ﴾ [طه:21]؛ بمعنى "الحالة التي كانت عليها من كونها عوداً"³. لقد توافق تعريف السيرة عند ابن منظور مع التعريف في المعجم الوسيط فدلّت السيرة: "على السنة والطريقة والحالة التي يكون عليها الإنسان وغيره..."⁴.

2.2.1. إصطلاحاً :

أما في الإصطلاح فقد اصطلح على معنى السيرة في المعجم الأدبي بأن: "السيرة : بحثٌ يكشف فيه صاحب الكتابة (الكاتب) عن جوانب عدة من حياة صاحب السيرة، حيث تقدم في قالب سردي يحاكي مراحل حياته بطريقة متسلسلة، عارضة أهم التجارب والمنجزات التي كانت سبباً في ذیوع شهرة صاحبها، وإهتمام الناس بها"⁵؛ فيفضي هذا القول إلى أن السيرة ترجمة لمسيرة جزء مهم من حياة صاحبها. وبناءً على هذا جاء تعريفها في معجم المصطلحات العربية على أنها: "تاريخ الحياة، وترجمة الحياة..."⁶؛ فما تعني به السيرة هو إرتباطها بتاريخ الفرد وهذا هو أهم الأمور في كتابة

¹ أنطونيوس بطرس: الأدب تعريفه - أنواعه - مذاهبه، المؤسسة الحديثة للكتاب، طرابلس، لبنان، ط5، 2005 - ص9.

² ابن منظور، لسان العرب، دار الكتب العلمية - بيروت، لبنان، مج: 4، ط1، 2003، ص1.

³ أبي القاسم الحسن بن محمد، المفردات في غريب القرآن، مكتبة نزار مصطفى، مكتبة نزار مصطفى، الباز، تح: مركز الدراسات والبحوث لمكتبة نزار مصطفى الباز، ج: 1، (د، ط)، ص326.

⁴ مجمع اللغة العربية، المعجم الوسيط، مكتبة الشروق الدولية، مصر، ط4، 1425هـ، 2004 م، ص467.

⁵ ينظر، جبور عبد النور، المعجم الأدبي، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ط1-2، (يناير)، 1984، ص205.

⁶ محمود عبد الغني، فن الذات، دراسة في السيرة الذاتية لابن خلدون، دار أزمّة، عمان الأردن، ط1، 2006، ص100.

السيرة، مع شرط التسليل الزمني دون التلاعب به. حتى لا تفقد السيرة المصدقية وتدخل في دائرة الخيال الإبداعي.

أدب السيرة :

في معجم المصطلحات الأدبية عُني بأدب السيرة " ترجمة Biography قصة حياة شخصية أو جماعة ضئيلة العدد وثيقة الارتباط مثل العائلة وهي بذلك نوع فرعي من التاريخ ما دامت تحكي بطريقة منهجية (نسقية) تقوم على إستمرار الأحداث الماضية بسبب جماعة معينة أو بلد أو فترة أو شخص...¹؛ أي أن أدب السيرة هي تتبع مسار حياة شخص أو جماعة ، وللسيرة علاقة بالتاريخ لأنها توثق أحداث صاحبها .

2. تعريف السيرة الذاتية :

1.2. لغة: لقد تطرقنا إلى تعريف السيرة فيما سلف ذكره كمصطلح عام.

2.2. اصطلاحاً:

و انطلاقاً من هته النقطة سوف نستعرض بعض التعاريف الاصطلاحية لهذا النوع الادبي الزئبقي القائم بذاته ، كما نعتة الدكتور معيض الغامدي.

في حين أنه إقترح تعريفاً لهذا الفن -السيرة الذاتية - ويقول : "هي تسجيل إستعادي صادق ومقصود لعمر (أو على الأقل لعدد معتبر من سنيه) من الخبرات، والأفعال، والتفاعلات، وتأثيراتها العوزية وبعبدة المدى على الشخص...²؛ فهي فن يقوم من خلاله عرض للوقائع والإنفعالات والخبرات لجزء من عمر الفرد، بالرجوع إلى الماضي واستذكارها بشرط الصدق والمصدقية.

لكن السيرة الذاتية في المعجم الأدبي دلت على: " كتاب يروي حياة المؤلف بقلمه، وهو يختلف مادة ومنهجاً عن المذكرات واليوميات...³ " ويفهم من هذا القول أنها رسم لتفاصيل الحياة بقلم صاحبها لا الغير، مع ضرورة الفصل بين السيرة الذاتية والمذكرات وفصلها على اليوميات أيضاً.

¹ ابراهيم فتحي، معجم المصطلحات الأدبية، التعااضدية العمالية للطباعة والنشر، صفاقس، (د-ط)، 1986 - ص12.

² صالح معيض الغامدي، كتابة الذات ، دراسات في السيرة الذاتية ، المركز الثقافي العربي ، بيروت ، لبنان ، ط1، 2013 ص19.

³ جبور عبد النور، المعجم الادبي، دار العلم للملايين، بيروت لبنان، ط1، ط2، 1979، ص 143.

ويعرفها إحسان عباس في كتابه «فن السيرة» بأنها: "تجربة ذاتية لفرد من الأفراد، فإذا بلغت هذه التجربة دور النضج. وأصبحت في نفس صاحبها من القلق النفسي فإنه لابد أن يكتبها"¹؛

فالتجارب الإنسانية هي التي تصنع السيرة الذاتية، بعد ما تؤثر على صاحبها داخلياً و نفسياً تأثراً سلبياً كان أم إيجابياً، فيلجأ بالضرورة إلى إفراغها عبر ما تمليه عليه قريحته في طابع فني كتابي. والترجمة الذاتية الفنية عند عبد الدايم هي: "التي يصوغها صاحبها في صورة مترابطة على أساس من الوحدة والاتساق في البناء والروح كما سلف وفي أسلوب أدبي قادر على أن ينقل إلينا محتوى كاملاً، عن تاريخه الشخصي، على نحو موجز حافل بالتجارب والخبرات المتنوعة الخصبة..."²؛ ونرى من هذا المفهوم أن السيرة الذاتية هي ترجمة ذاتية يقوم فيها صاحبها بتصوير الوقائع، و التجارب، في سلسلة مترابطة من الوحدة و الاتساق و البناء، بأسلوب أدبي قادر على نقل تاريخه الشخصي بصورة واضحة.

ويعرفها عبد العزيز شرف أيضاً أن: "السيرة الذاتية تعني حرفياً ترجمة حياة كما يراها هو..."³؛ أي يعني من ذلك استعراض سيرته من وجهة نظره، كما يراها ويتصورها في ذهنه؛ لا كما يراها غيره.

أما الباحث الغربي فليب لوجون يعرف السيرة الذاتية بأنها "حكي استعادي نثري يقوم به شخص واقعي عن وجوده الخاص، وذلك عندما يركز على حياته الفردية، وعلى تاريخ شخصيته بصفة خاصة"⁴؛ وترجمة لما آل إليه لوجون أرجعه إلى ضرورة أربعة شروط منها - شرط اللغة (قالب نثري)، الموضوع (حياة الفرد)، التطابق (الساد مع الشخصية)، التاريخ (الإحالة إلى الزمن الماضي).

و ما آلت إليه السيرة الذاتية بمجمل هذه التعريفات هو اتفاقهم على موضوع واحد وخص به كتابة ذات الكاتب كتجارها الماضية عبر مسيرة حياتية.

¹ إحسان عباس، فن السيرة، دار الشروق، عمان، الاردن - ط1، 1996 - ص35.

² يحيى إبراهيم عبد الدايم، الترجمة الذاتية في الأدب الحديث، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، (د-ط) - (د-ت)، ص10.

³ عبد العزيز شرف، أدب السيرة الذاتية، مؤسسة الاهرام للنشر والتوزيع - القاهرة، (د-ط) - 1998، ص27.

⁴ فليب لوجون، السيرة الذاتية - الميثاق والتاريخ الأربي، تر: عمر حلي، المركز الثقافي العربي بيروت، ط1، 1994، ص22.

3.1. السيرة الذاتية والعلمية:

السيرة الذاتية هي بمثابة الثغرة الوحيدة التي التجأ إليها العلماء والأدباء، للتعبير عن ذواتهم وأفكارهم وخلقاتهم النفسية متأثرين ومؤثرين في ميدان العلم والمعرفة والأدب. ففي هذا المجال برع ونبغ هؤلاء العلماء، فكانت لهم بصمة بارزة تكاد تكون نقطة الإنطلاق الأولى في بعض العلوم، في حين بقي المعاصرون على عهدهم وعلى عهد ابتكارتهم إلى حد الساعة (على عهد الأوائل والسابقين)، يأخذون منها وينهلون عنها لاعتبارهم هم أصل الشيء ومنبعه، والركيزة الأساسية لنشر العلم والمعرفة في الحقل العلمي بصفة عامة والأدب بصفة خاصة، أمثال : وابن سينا لعلم الطب في كتابه «القانون والطب» وهذا الكتاب ظل مرجعاً أساسياً في أوروبا لقرون تلت، وحنين في الترجمة، والفروسيّة لأسامة ابن المنقذ، وبرع ابن خلدون بعبقريته في تحليل الظواهر الاجتماعية و هو مؤسس علم الاجتماع، والسخاوي في علم الرجال ...الخ.

3. أدب التراجم

إن أدب التراجم يعتبر من الفنون الأدبية الثرية، التي حفظت سير الأعلام والأدباء والشخصيات المشاهير لدى المجتمعات عبر العصور المتتاليات، فالتراجم هي سجل كاشف لانجازات وتجارب الاشخاص مع تصوير البيئة الاجتماعية والثقافية التي نشؤوا فيها، إلى حين المرحلة التي وصلوا اليها.

1.3. الترجمة لغة :

دلت على : ترجم الكلام، بينه ووضحه و- كلام غيره - وعنه نقله من لغة إلى لغة أخرى [...].، والترجمة : ترجمة فلان: سيرته وحياته، وجمعها: تراجم.¹ وتعني بالترجمة المرأة العاكسة لصاحبها.

2.3. الترجمة إصطلاحاً :

مع مر العصور نجد مصطلح " الترجمة " قد نحي منحى جديد شيئاً فشيئاً و دلّ على : «تاريخ الحياة الموجز للفرد» ، والسيرة دلت على: «التاريخ المسهب للحياة»². من خلال فهمي اتضح لي وجود فرق بين الترجمة والسيرة من باب الإيجار والطول.

¹ مجمع اللغة العربية ، المعجم الوسيط - مكتبة الشروق الدولية-ص83.

² ينظر، يحي ابراهيم عبد الدايم، الترجمة الذاتية في ادب الحديث، ص31.

ويعرفها حسن عبد الغني: "ذلك النوع من الأنواع الأدبية الذي يتناول التعريف بحياة رجل أو أكثر، تعريف يطول أو يقصر، ويتعمق أو يبدو على السطح تبعاً لحالة العصر الذي كتب فيه الترجمة، وتبعاً لثقافة المترجم..."¹.

وما فهمته من عبد الغني أنه يربط الترجمة بثقافة المترجم أي بالعلم والدراية الكافية لتأليف تراجم الرجال والتعريف بهم. مع مراعاة العصر الذي كتبت فيه من ناحية (الطول-القصر-العمق...).

3.3. علاقة أدب التراجم بالسيرة الذاتية :

وما أصبوا إليه من خلال هذا العنصر: هو معرفة العلاقة الوطيدة الرابطة بين هذين الأديبين من باب الاحتواء والتكامل، فيما بينهما من عناصر مشتركة ومكملة لبعضهما البعض، فيقول في هذا الصدد عبد الفتاح كيلطو: "أظن أنه ليس هناك مبرر، على الأقل عند بداية البحث للفصل بين الترجمة الذاتية وما يسمى بالترجمة الغيرية، متخذاً من ذلك أن الطريقة التي يترجم بها للغير هي الطريقة نفسها التي نجدها في السيرة الذاتية"؛ فيشير كيلطو الى عدم وجود فرق بينهما .

4. خطابات التقديم :

1.4. تعريف خطابات التقديم:

تعتبر خطابات التقديم من العناصر المهمة في العتبات النصية، وفي مداخل النصوص الأدبية، ففي منظور النقد المعاصر هي ليست مجرد مقدمة شكلية بل تعد خطاباً تداولياً، يحمل في طياته دلالات فكرية وتأويلية وحتى جمالية، ربما تساعد القارئ في فهم متون النصوص من الداخل ولهذا أضحت محل اهتمام الدارسين والباحثين العرب وغير العرب.

إن هدفنا الوحيد حول مفهوم الخطابات التقديمية، ليس رصد كل الإسهامات التي تبادر حولها الدارسون، وإنما الإحاطة فقط ببعض المفاهيم التي ربما قد سهل لنا موضوع الدراسة، وتوضح لنا بعض اللبس الذي قد نقع فيه.

ترد أولى الإشارات بخصوص خطابات التقديم إلى أن: "أن مخترع جهاز التحليل النصي الموازي ذاته «جيرار جنييت» ظل حريصاً على ضرورة أن يلتزم النص الموازي حدوده، وأن يظل مجرد

¹ حسن محمد عبد الغني، التراجم والسيرة، دار المعارف، (د-ط)، 1955، ص9.

مساعد ومكمل للنص"¹؛ نرى أن جيران جنيت جعل للنصوص الموازية ضوابط ومعايير تقيدها، ولا يمكن لكتابتها أن يتحاشاها أو يستغنى عنها.

وهذا ما جاء في كتاب « المحكى القصير » أيضا أن: " خطاب المقدمة إذا يمثل درجة متقدمة ودقيقة من وعي الكتابة بذاتها، لما يعينه هذا من كونه عتبة تتجلى فيها كل صور الإبلاغ والإستدراج وخطب الود، وأحيانا لتأصيل قضايا تتعلق بالمسألة التحسينية...."²

فكل افتتاح يعتبر تعريفاً بالخطاب أو عقد بين الكاتب والمستقبل، ويكمن هذا العقد في كيفيات تلقي النصوص الأدبية وطريقة التعامل معها بين مستويي القراءة والتأويل، ولهذا جعل للخطاب سُنن يجب الاعتماد عليها باعتبارها لحظ تواصل من نوع خاص، يستدعي تفكيكا للمعطيات وصولاً للنتائج، مستعينين بالشرح والتعليق لتحقيق ذات الغرض.³

وبرجعونا نحو التراث الإسلامي نجد أن المقدمات اكتست بحلة مغايرة، شاعت آنذاك بين من هم أصحاب الصنعة، فكانت المقدمة في التراث الإسلامي تنتمي لفضاء فكري مغاير، تنطلق من فكرة وجودية قوامها الدين، ولغتها خطاب الوحي الروحي، فكانت تلك الثقافة المنتشرة في تلك العصور، والتي بدورها يتحقق الأداء الفني في كل أصناف القول.⁴

وما رصدناه حول مفهوم الخطابات التقديمية هي ذلك الشكل الخطابي الكلاسيكي، الذي لطالما عهدناه في العصور القديمة. في حين أن تقتصر وظيفة الخطاب على التعريف فقط، بل قد تتجاوز الخطوط العريضة، وتكشف لنا على بعض ملامح السير ذاتية لصاحبها.

5. وصف عنوان الكتاب

عنوان الكتاب : « ذخيرة الذات »

تركب العنوان من كلمتين إثنين فقط وهي ذخيرة - الذات. وهو عنوان قصير نوعا ما.

¹ يوسف وغليسي، على مشارف النص، نصوص موازية، جسر للنشر والتوزيع، الجزائر، ط1، 1438هـ، 2017 م- ص14

² الهاشم أسمر، عتبات المحكى القصير في التراث العربي الاسلامي، بيروت، لبنان، ط1، ص57.

³ ينظر، عبد المالك أشهبون، عتبات الكتابة في الرواية العربية، دار الحوار للنشر والتوزيع، اللاذقية، سورية، ط1، 2009 - ص74.

⁴ ينظر، عباس احمد ارحيلة، هاجس الابداع في التراث، دراسة مقدمات الكتاب الإسلامي، المؤسسة العربية للفكر والابداع، بيروت، لبنان، ط1، 2017، ص19.

دلالته: أكيد أن للعنوان سلطة وسطوة على سيرورة النص. ولهذا لجأنا لتفكيك العنوان، لإيضاح معناه أكثر.

دلت كلمة ذخيرة في المعجم اللغوي أسرار البلاغة على: " ذخِر: ذخر الشيء وأذخره، خبأه لوقت حاجته، ومن المجاز: ذخر لنفسه حديثاً حسناً [...]، ملأت الدابة مداخرها وهي المواقع التي تأخر فيها العلف والماء في جوفها"¹. فالذخيرة هي الشيء الذي يخبأه الشخص ويستعمله حين تحين الحاجة إليه.

أمّا الذات: دلت على النفس والشخص [...]، يقال الأدب: نقد ذاتي: يرجع إلى آراء الشخص وإنفعالاته [...]. ويقال: عرفه من ذات نفسه، سيرته المضمرة [...]. وذات الصدر: سريرة الإنسان وفي التنزيل العزيز: ﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾² [سورة الملك: الآية 13]. فالذات هي النفس والسريرة الخفية للشخص.

وبالتالي العنوان كاملاً يدلي بدلالة تجمع بين الذات والذكريات، مما يجعل العنوان يلمح إلى السيرة الذاتية التي تكشف لنا عن مسارات أصحابها الفكرية والعلمية، أو بمعنى آخر فذخيرة الذات يجمع بين ذوات الشخصيات وتجاربهم التي تصنع الهويات.

6. التعريف بالمدونة

تمثلت مدونة هذا البحث في كتاب « ذخيرة الذات » للكاتب والناقد محمود عبد الغني: وهو كاتب مغربي، وأستاذ الأدب القديم والحديث بكلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط، بزغ صيته في عدة مجالات منها:

- مجال الرواية: الهدية الأخيرة.

- مجال الدراسات: فن الذات دراسة للسيرة الذاتية لابن خلدون.

- مجال المعاجم: معجم المصطلحات الأساسية في الترجمة الأدبية ... وغيرهم.³

ما جاء في هذه المدونة هو مجموعة من النصوص السيرية المتنوعة، والتي جاءت متناثرة هنا وهناك، بين كتب التراجم وبين خطابات التقديم العربية قديماً، وتنوع هته النصوص يرجع إلى

¹ أبي القاسم جار الله، محمد إلى أحمد الزمخشري - أساس البلاغة، دار الكتب العلمية بيروت، لبنان، تح: محمد باسل عيون السود، ج: 1، ط 1، 1419 هـ - 1998 م - ص 310.

² مجمع اللغة العربية، المعجم الوسيط، ص 307.

³ ينظر، موقع الكتروني، الآن ناشرون وموزعون، الرئيسية، مؤلفون، مبدعون، سا: 14:44

تنوع مشارب أصحابها بين الأدبي والعلمي والتاريخي والديني، وهذا يدلي بتنوع المصادر والاتجاهات الفكرية والثقافية، التي استند عليها الكتاب في تقديم ذواتهم.

فهذه النصوص المتعددة كانت سببا لاختيارنا لهته المدونة، نظرا لاحتواءها على مادة غنية تمكننا من دراسة تجليات السير الذاتية داخل الخطابات التقديمية التراثية، وذلك عبر الكشف عن الأساليب التعبيرية المختلفة التي اعتمد عليها أصحابها في تقديمهم لذواتهم العلمية والأدبية والتاريخية والدينية.

ومن خلال ما تطرقت له عبر التمهيد نجد أن السيرة الذاتية هي ذلك النوع الأدبي الذي تناول حياة الإنسان عبر مسيرة حياته، من تجارب وأحداث ووقائع وربما حتى تأملات فكرية ونفسية. لهذا صوبت نظري حول دراسة المضامين السيرية لغرض استخراج بعض الملامح المشتركة والمختلفة بين النصوص، فاتخذت من كتاب «ذخيرة الذات» لمحمود عبد الغني كنموذج للدراسة، تناولت من خلاله بعض النصوص السيرية لهؤلاء، ومنها:

- سيرة الذات لحنين ابن إسحاق.
- سيرة الذات للشيخ الرئيس ابن سينا.
- سيرة الذات لعلي بن رضوان
- سيرة الذات لشمس الدين السخاوي
- سيرة الذات لابن حزم الأندلسي
- سيرة الذات لأبو حيان لتوحيدي
- سيرة الذات للتوحيدي - فصل في حال الكاتب
- سيرة الذات للسان الدين بن الخطيب
- سيرة الذات لأسامة بن المنقذ
- سيرة الذات لعبد الرحمان بن خلدون
- سيرة الذات للأمير عبد الله بن بُلقين
- سيرة الذات للمؤيد بالله محمد بن إسماعيل
- سيرة الذات لأبو حامد الغزالي
- سيرة الذات لأبو عبد الله محمد الحكيم الترمذي

فقسمت هته النصوص السيرية إلى أربعة مباحث:

- أولاً: سيرة الذات العلمية
- ثانياً: سيرة الذات الأدبية
- ثالثاً: سيرة الذات التاريخية
- أخيراً: سيرة الذات الروحية

المبحث الاول: سيرة الذات العلمية

- المطلب الأول: سيرة الذات -حنين ابن إسحاق -
- المطلب الثاني: سيرة الذات - الشيخ الرئيس ابن سينا-
- المطلب الثالث: سيرة الذات - علي ابن رضوان-
- المطلب الرابع : سيرة الذات - لشمس الدين السخاوي-

المبحث الأول : سيرة الذات العلمية

صنفت في هذا المبحث مجموعة من الأعلام، تحسباً لفكرهم العلمي والفلسفي، ولأنهم كانوا علماء موسوعين نجدهم قد برعوا في العلم والطب والفلسفة وكذلك الأدب. فضمت كل من سيرة: حنين ابن إسحاق ، الشيخ الرئيس ابن سينا، علي ابن رضوان، شمس الدين السخاوي.

يقول شوقي ضيف في هذا الصدد: "والفلاسفة والعلماء إنما عنوا بالتحدث عن حياتهم الفلسفية أو العلمية وما ألفوا وخلفوا من مصنفات وقلما وقف شخص منهم عند طفولته ونشأته والمؤثرات الخارجية المختلفة التي وقعت عليه وأثرت في حياته، ويظهر أنهم لم يفصلوا إلى ضرورة ذلك، ومن ثمة كانت هذه التراجم فقيرة من حيث المادة النفسية والاجتماعية، إذ تصبح في أغلب الأمر ثبثاً لمؤلفات الفيلسوف أو العالم غير معنية بشيء من بيئته أو حياته...".¹

المطلب الأول: سيرة الذات -حنين ابن إسحاق -

1. التعريف بحنين ابن اسحاق:

"هو أبو يزيد حنين ابن إسحاق العبادي، أعظم المترجمين وأكثرهم شهرة، وشيخ تراجمة العصر العباسي، ولد بالحيرة (العراق) . 194 هـ / 810 م، من قبيلة عربية مسيحية ووالده مسيحي سيطوري صيدلاني، وهذا اما ولّد شغفه بحب العلوم الطبية (طب العيون)"².

2. موضوع السيرة:

النص يعكس واقعة إنسانية، وتجربة ذاتية مؤلمة، إذ توقفت حياة حنين للحظة، فكانت بمثابة نقطة تحول فاصلة في مجاله العلمي، فنص الموضوع الاساس على المحن التي لحقت به جراء الخيانات والمكائد التي نُصبت له من قبل ذوي الصيغة والاختصاص الطبي، وذلك من وراء الحسد والحقد على المكانة التي حققها بين أطباء زمانه وعند المتوكل أمير المؤمنين.

¹ شوقي ضيف، الترجمة الشخصية - دار المعارف، النيل، القاهرة، ط4، (د-ت)، ص1.

² ينظر، باشا مليكة، إسهامات حنين بن اسحاق في تأسيس وتأمل الممارسة الترجمية، مجلة الآداب واللغات، جامعة أبي بكر تلمسان، العدد: 01، الجزائر، ص 314.

3. البناء الفني:

1.3. طبيعة الخطاب : النص طابعة سردي، لأن سارده كان يروي لنا عن حدث ذاتي، وقع له خلال مسيرته العلمية، وما ميز النص هو تسلسل أحداثه وتنظيمها، وهذا ما عكس طبيعة الكاتب وأسلوبه العلمي، فجاء بناءه معبراً على كل ما عاشته الذات من تجارب وأحداث ربما كانت ثغرة للوصول إلى مكان أسمى.

وهذا ما أوضحته تهاني عبد الفتاح شاكر في تعريفها للسيرة الذاتية معبرةً. عنها " بأنها لا يمكن أن تكون مجموعة من الأحداث والأخبار المتناثرة التي لا يربط بينها خيط من المنطق أو التسلسل، فالسيرة الذاتية نوع من أنواع الفن القصصي. لذلك لابد من أن يكون لها بناء فني مثل سائر أنواع الفن القصصي..."¹.

كما يشترط أيضاً الدكتور إبراهيم عبد الدايم وجود بناء فني متسق؛ ويقول : " والترجمة الذاتية الفنية هي التي يصوغها صاحبها في صورة مترابطة على أساس من الوحدة والاتساق في البناء والروح..."². وبإجمال القولين نجد أن أسلوب الكاتب يعكس طبيعة النص وتراكيبه، وذلك بدءاً بالعنوان ثم الاستهلال، بعدها عرض الأحداث المتوالية.

- فالعنوان : « أول شروري وابتداء محنتي » جاء موحى لرمزية المعاناة والمحن التي عان منها حنين، فهو يعكس تجربة مريرة مر بها في حياته.

- الإستهلال (بداية القصة): استهلها ببداية تعريفية، تمهد لنا عما سوق يحكيه، مبتدءاً بمكانته العلمية، وهو الشئ الذي كان سبباً في محنته وسبب له الحقد والحسد. حيث يقول في النص : "إنه لحقني من أعدائي ومضطهدي الكافرين بنعمتي الجاحدين لحقي، الظالمين لي، المعتدين علي من المحن والمصائب والشرور، ما منعني من النوم، أسهر عيني وأشغلي عن مهماتي"³.

¹ تهاني عبد الفتاح شاكر، السيرة الذاتية في الأدب العربي، فدوى طوقان - جبرا إبراهيم جبرا، إحسان عباس، المؤسسة العربية للدراسات والنشر بيروت، ط1، 2002، ص11.

² المرجع نفسه، تهاني عبد الفتاح شاكر، السيرة الذاتية في الأدب العربي، الصفحة نفسها.

³ المصدر: محمود عبد الغني، ذخيرة الذات - منشورات ضفاف - بيروت، لبنان، ط1 - 1437هـ-2016م، ص41.

- الحدث : وهو بيت القصيد، رغم أن حنين ابن إسحاق عالم فذ في مجال الطب ومن بين أحد المترجمين الكبار في العصر العباسي، إلا أن سيرته الذاتية تمثلت في حدث علمي، عمد لتوثيق هذه الأحداث دفاعاً عن سمعته بين الناس، وتأسياً لهذا الفهم: " يعتبر الحدث في السيرة الذاتية وظيفياً من حيث كونه مرتبطاً بسلسلة من الأحداث السابقة التي تبرزه، و من حيث الأحداث اللاحقة التي تنتج عنه..."¹

والحدث في سيرة حنين الذاتية إختزل في الخداع والمكر ونصب المكائد من قبل زملاءه الأطباء النصارى، قصد التخلص منه ومن مكانته التي أوكلت له عند المتوكل. فجاء في النص: "أن يختيشوع بن جبرائيل المتطبيب عمل على حيلة تمت له عليّ، وأمكنته مني أرادته فيّ، وذلك أنه إستعمل قونة عليها صورة السيدة مريم، وفي حجرها سيدنا المسيح والملائكة قد إحتاطوا بها..."² كما يرتبط الحدث بعناصر سردية لا بد من الوجود منها وهي: الشخصيات، الزمن، المكان.

- الشخصيات : يعرف عبد المالك مرتاض "أن الشخصية هي التي تصنع اللغة وهي تثبت أو تستقبل الحوار؛ وهي التي تصطنع المناجاة وهي التي تصف معظم المناظر التي تستهويها والتي تنجز الحدث".³ وهي نوعان رئيسية وثانوية:

- الشخصية الرئيسية: هي المحرك الأساسي لأحداث القصة، وتمثلت في شخصية حنين ابن إسحاق، حيث تطابقت هذه الشخصية مع الشخصية الساردة والشخصية المؤلفة للقصة، وهذا ما يثبت جانباً من ملامح السيرة الذاتية عند حنين في تراثنا العربي.
- الشخصيات الثانوية: وهي الشخصيات المساعدة في توليد الأحداث. وتمثلت في:
 - ❖ شخصية بختيشوع بن جبرائيل : طبيب نصراني لدى المتوكل أمير المؤمنين. مدير المكيدة الكبرى للتخلص من حنين. حين قال: "فإني أعرف رجلاً في خدمتك وأفضلك

¹ عبد العزيز شرف، أدب السيرة الذاتية، مؤسسة الأهرام للنشر والتوزيع، ص 61.

² المصدر السابق، محمود عبد الغني - ذخيرة الذات، ص 43 - 44.

³ بزالة مريم، ملامح التجديد في رواية " ذات " لفتح الله ابراهيم، مذكرة ماستر، جامعة محمد خيضر، بسكرة، 2019 - ص 52.

وأرزاقك جارية عليه من النصارى يتهاون بها و يبصق عليها، وهو زنديق ملحد، لا يقر بالوحدانية ولا يعرف آخرة، يستتر بالنصرانية وهو معطل مكذب بالرسول [...] فقال له: حنين المترجم...¹.

❖ شخصية المتوكل أمير المؤمنين: وهو الخليفة العباس العاشر. كان يقدر حنيناً ويثق به لكفاءته العلمية، ولكن سرعان ما انقلب عليه ظالماً له في الحكم عليه. ويعكس هذا في النص: "إن هذا الأمر عجيب، ثم أمر بإحضاري فأحضرت إليه، وأحضر السوط والحبال وأمر بي فشددت مجرداً بين يديه وضربت مائة سوط، وأمر باعتقالي والتضييف علي".²

❖ شخصية الجاثليق: الجاثليق واحد من بين الأطباء الستة والخمسون. وهذه الشخصية تعتبر مقدسة للديانة المسيحية، والتي كانت سبباً مباشراً في الحكم على حنين بالسجن؛ وقال: "... وأنا أريد أن تعرفني جزاء من يبصق عليها عندك؟ فقال: إن كان مسلماً فلا شئ عليه [...] فيلام ويوبخ [...].، وإن كان نصرانياً وكان جاهلاً لا يفهم [...] فيلم ويجزر بين الناس [...].، فإن كان عاقلاً وقد بصق عليها، فقد بصق على مريم أم سيدنا وعلى سيدنا المسيح [...]. فقال: أن أعاقبه بسوط أو بعضاً [...] بل أحرمه وأمنعه [...] وأمنع النصارى من ملابسته وكلامه...".³

- الزمن: "وهو زمن وقوع الأحداث المروية في القصة، فلكل قصة بداية ونهاية"⁴. وجرى هذا الحدث قبل حبس حنين " فلم أزل على ما شرحتة إلى أن أعتل أمير المؤمنين، وذلك في اليوم الخامس من الشهر الرابع من يوم حبسي...".⁵

¹ المصدر، محمود عبد الغني، ذخيرة الذات - ص 44.

² المصدر نفسه -- ص 46.

³ المصدر نفسه، ص 45.

⁴ محمد بوعزة، تحليل النص السردي، تقنيات ومفاهيم، منشورات الاختلاف، الجزائر ط1، 1431هـ،

2010م، ص 87.

⁵ المصدر السابق، ص 46.

[...] * حذف من الباحث

المكان : وهو مصرع الحدث " ويمثل المكان مكوناً محورياً في بنية السرد بحيث لا يمكن تصور حكاية. بدون مكان، فلا وجود للأحداث خارج المكان، ذلك أن كل حدث يأخذ وجوده في مكان محدد وزمن معين..."¹.

- دارت أحداث القصة في دار أمير المؤمنين، كما تمثل هذه الدار الفضاء الثقافي لدى الأطباء.
- لم تدم محنة ابن إسحاق حتى آتاه الفرج في قوله "فالحمد لله الذي منّ عليّ بتجديد الحياة، وأظهرني على أعدائي الظالمين لي..."².

- في هذه السيرة الذاتية كانت تأثر ابن إسحاق بجالينوس واضحاً جداً حين يقول: " إن الأختيار من الناس قد ينتفعون بأعدائهم الأشرار، فالعمري لقد كان ذلك أفضل الأعداء..."³.
2.3. اللغة: لغة النص لغة حوارية، وهي آلية فنية تنهم في إبراز السرد الحكائي، فالكاتب لم يعرض أخباره فقط؛ بل لجأ إلى تصوير مشهدي سردي، من خلال الأقوال والمحاورة التي دارت بينه وبين الشخصيات الأخرى، فأدى إلى تعاقب الأصوات والردود حتى يمنح السيرة بُعداً قصصياً أكثر وضوحاً.

- اللغة واضحة ومباشرة لأنها لغة تقريرية تهدف إلى الإخبار.
- الذات واضحة في النص من خلال ضمائر المتكلم تجسيدا لحضور الأنا الكاتبة؛ وإستحضار زمن الحاضر لأن الكاتب ملزم بالزمنين لكي يسبح بين استحضار الماضي وذكرياته، والحاضر الذي من أجله ينتج هذا النص.
- لجوء الكاتب للصيغ الماضية وضمائره الدالة، مثل: (قَالَ، إِمْتَدَى، عَمِلْتُ، جَرَى، طَأَلْتُ، سَأَلْتُ...) للدلالة على استعادة الحكى.

3.3. تمثيلات الذات: تمثلت الذات في الذات العاملة: التي تعاني في صمت ويعكس هذا في النص. "...وإنما سكوتي عنهم لأنهم ليسوا واحدا ولا اثنين بل هم ستة وخمسون". الذات الهادئة المتيقنة بأن الظلم لا يدوم، وإن الحق لظاهر مهما بعد الأمر.

¹ محمد بوعزة، تقنيات ومفاهيم، ص 99.

² المصدر، محمود عبد الغني، ص 49.

³ المصدر نفسه، ص 41.

لوجون أكد على وجود تصريح الكاتب لكتابة سيرته الذاتية، والذي أسماه بعقد ميثاق السيروذاتي، وتحقق ذلك جراء قول حنين في النص: "وأنا الآن مبتدئ بذكر ما جرى عليّ مما تقدم ذكره فأقول:..."¹.

المطلب الثاني: سيرة الذات - الشيخ الرئيس ابن سينا -

1. التعريف بابن سينا:

"هو أبو علي الحسين بن عبد الله بن الحسين بن علي بن سينا، وهو إن كان أشهر من أن يُذكر، وفضائله أظهر من أن تُسطر، فإنه قد ذكر من أحواله وصف من سيرته ما يُغني غيره عن وصفه..."².

كما أعتبر كذلك "من أعظم فلاسفة الإسلام على الإطلاق، ولد بأسرة إيرانية سنة 370هـ/980م بالقرب من بخارى. كان أبوه يتصرف في أعمال قرية خرميثن للسامانيين، وكان بجانبها قرية تدعى أفشنة تزوج منها وسكن بها، وولد الفيلسوف العظيم بها. فوجهه والده إلى دراسة الحساب والفلسفة وأقبل على دراسة الطب والطبيعة وعلم الأحياء والفلك والرياضيات والكيمياء وفي المنطق والأخلاق والسياسة والتصوف وعلم الكلام. وأشهر كتبه في الفلسفة: «النجاة والشفاء» وكتاب «القانون في الطب» الذي ظل مرجعاً للقوم حتى القرن 16م. ظل ينتقل من بلاد إلى بلاد منشغلاً بالشؤون السياسية وتدبر أمور الإمارات³، ومنشغلاً بالتعليم والتأليف والتصنيف حتى لبّى نداء ربه في همدان 428هـ/1036م.

2. موضوع السيرة: يقول إحسان عباس:

"رويت سيرة ابن سينا على لسان تلميذه أبي عبيدة الجوزجاني، وقد حرص ابن سينا في سيرته على تسليط الضوء على مكانته العلمية في مختلف مجالات العلوم، إذ بيّن أنه أحكم

¹ المصدر السابق، ص 41.

² موفق الدين أبي العباس أحمد بن القاسم بن خليفة (ابن أبي أصيبعة)، ابن يونس السعدي الخزرجي، عيون الأنبياء في طبقات الأطباء، ج: 2، ط 1، 1299هـ - 1882م، ص 2.

³ ينظر، شوقي ضيف، الترجمة الشخصية، دار المعارف، القاهرة، ط 4، ص 23.

علم الهندسة والمنطق والطب...¹. واتضح ذلك من خلال النص في قوله: "... توفرت على العلم والقراءة سنة ونصف، فأعدت قراءة المنطق وجميع أجزاء الفلسفة، وفي هذه المدة ما نمت ليلة واحدة بطولها ولا اشتغلت النهار بغيره [...]، فكل حجة كنت أنظر فيها أثبت مقدمات قياسية..."².

الموضوع الأساسي الذي يعالجه النص هو طرح تجربة ذاتية كان لها الأثر الكبير في تشكل شخصية ابن سينا بوصفه عالماً موسوعياً، حيث يسعى جاهداً لتحصيل العلم والمعرفة عن طريق الاجتهاد والمثابرة، كما ركز على ذكر البيئة التي نشأ بها (بخارى) واعتبرها بيئة خصبة ومساعدة لنقل العلوم والمعارف بين الناس، وهذا ما عكس على تداخل العوامل الذاتية والبيئة الخارجية في تكوين الذات العلمية الموسوعية. ويتضح ذلك من خلال العنوان أولاً: "كتاب قرأته أربعين مرة..."³، فالعنوان يوحي بأن هذه الذات مجتهدة ومثابرة لا تعرف الملل ولا الاستسلام.

3. البناء الفني:

1.3. طبيعة الخطاب: نوع الخطاب في النص السيري لابن سينا مثل خطاباً سردياً، لأنه اعتمد في عرض أحداثه وتجاربِهِ في قالب حكاوي متسلسل. منذ ولادته ثم نشأته وبعدها تكوينه الذاتي العلمي وصولاً إلى تحقيق هدفه العالم الموسوعي لا يضاهايه أحد من علماء زمانه. فاستهل خطابه بذكر أصوله الإيرانية وتجسد ذلك في المقطع التالي: "...إن أبي كان رجلاً من أهل بلخ، وانتقل إلى بخارى في أيام نوح بن منصور واشتغل بالتصرف وتولى العمل في أثناء أيامه بقرية يقال لها خرميثن..."⁴.

ثم شرع في ذكر العوامل التي ساعدته في نبوغه في سن مبكرة جداً وميزته على أقرانه فقال: "ثم انتقلنا إلى بخارى وأحضر لي معلم القرآن ومعلم الأدب، وأكملت العشر وقد أتيت على القرآن وعلى كثير من الأدب، حتى كان يُقضى منه العجب..."⁵.

¹ تهماني عبد الفتاح شاكر، السيرة الذاتية في الأدب العربي، دار الفارس للنشر والتوزيع، عمان، ط1، 2002، ص43

² المصدر، ص 72

³ المصدر نفسه، ص 71

⁴ المصدر نفسه، الصفحة نفسها

⁵ المصدر السابق، الصفحة نفسها.

ثم ذكر بفضل اجتهاده كيف تفوق على شيوخه أمثال: أبو عبد الله النائي وإسماعيل الزاهد. فنلمس ذلك في النص في قوله: "ثم ابتدأت بكتاب إيساغوجي على النائي، ولما ذكر لي أحد الجنس، أنه هو المقول على كثيرين مختلفين بالنوع في جواب ما هو، فأخذت في تحقيق هذا الحد بما لم يسمع بمثله، فتعجب مني كل العجب [...] وكان أي مسألة قالها أتصورها خيراً منه..."¹.

ثم استفاد في الحديث حول ما قرأ من كتب وما أخذ عن مشايخ مثل: المجسطي وكتب الطبيعة والإلهيات وعلوم الطب، وهذا الأخير الذي اعتبره ليس من العلوم الصعبة أبداً.

"ولعله مما لا يستقيم عند مسلم اجتماع سلوك شرب الخمر مع الحفاظ على أداء الصلاة"² في رأي إحسان عباس، ثم بين قوة إصراره وعزيمته على مطالعة الكتب وإن لم يفهمها.

ويجسد هذا في المقطع التالي: "وقرأت كتاب ما بعد الطبيعة، فما كنت أفهم ما فيه، والتبس علي واضعه، حتى أعدت قراءته أربعين مرة وصار لي محفوظاً..."³.
حتى لمع له نور الفهم بفضل كتاب اشتراه وهو كتاب لأبي نصر الفارابي في أغراض ما، بعد الطبيعة، مما جعله يتصدق للفقراء ويشكر الله الذي مَنَّ عليه بالفهم.
ثم عرض الكتب التي اطلع عليها وهي كتب كثيرة. وكأننا نلمس فيه شيئاً من البرهان على عبقريته، فيحاول إقناع القارئ بما ألم به حتى وصل إلى ما وصل إليه بفضل اجتهاده وسيعه المتواصل. إلى أن ختم سيرته ببيت شعري مبيناً من ذلك أن له الحظ الوافر من الأدب كذلك. قائلاً:

"مَا عَظُمْتُ فَلَيْسَ مِصْرٌ وَاسِعٌ مَا غَلَا ثَمَنِي عَدِمْتُ الْمُشْتَرِي"⁴

¹ المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

² تهماني عبد الفتاح شاكر، السيرة الذاتية في الادب العربي، ص 43.

³ المصدر السابق، ص 72-73.

⁴ المصدر السابق، ص 74.

2.3. اللغة: اللغة تقريرية ومباشرة لأنها اعتمدت على نقل الأخبار بأسلوب مباشر. هدفها إيصال التجربة للقارئ. وجاءت واضحة بدون تعقيد ولا مجاز لأنها تعكس تطور الذات عبر مسارها العلمي.

- الضمير: ضمير المتكلم (أنا) يظهر بوضوح في النص، بدءاً بالعنوان (كتاب قرأته أربعين مرة)، العنوان يعود على ضمير المتكلم، أي: من قرأ الكتاب والجواب: أنا من قرأت الكتاب، كما تظهر (الأنا) كضمير مستند على الأفعال التالية: أكملت، أخذت، وراعيته، وكضمير عائذ: أخذني، سألني...، بغرض ربط الذات الساردة بأفعالها.

في النص الذات الساردة هي الشخصية نفسها وهذا التطابق يحقق الميثاق السيروذاتي، مما يعزز مصداقية السرد ويقوي التواصل مع القراء.

3.3. تمثيلات الذات: تعددت تمثيلات الذات في الخطاب إلى:

- الذات العاملة المجتهدة والمثابرة: من خلال العنوان أولاً. كتاب «قرأته أربعين مرة»، فالتكرار يدل على العزيمة والإصرار الذي لا يقهر، ويُظهر اجتهاده بوضوح في المقطع التالي: "فطالعت كتب الأوائل وطلبت ما احتجت إليه منها، ورأيت من الكتب ما لم يقع اسمه إلى كثير من الناس قط، وما كنت رأيته من قبل ولا رأيته أيضاً..."¹.

- الذات العاملة الموسوعية: ابن سينا عمل على نفسه حتى وصل إلى ما وصل إليه، فهو لم يحقق ذاته من فراغ بل سعى نحو ذلك، وتجسد ذلك في قوله: "... وأنا مع ذلك أختلف إلى الفقه وأناظر فيه، وأنا في [...] ثم توفرت على العلم والقراءة سنة ونصف، فأعدت قراءة المنطق وجميع أجزاء الفلسفة، وفي هذه المدة ما نمت ليلة واحدة [...] ولا اشتغلت النهار بغيره..."².

المطلب الثالث : سيرة الذات -علي ابن رضوان-

1. التعريف بعلي بن رضوان:

¹ المصدر، نفسه، ص 73

² المصدر نفسه، ص 72.

" أشهر أطباء مصر في القرن الخامس الهجري (الحادي عشر ميلادي)، ولد في الجيزة لرجل فقير كان يعمل فراناً، ولما رأى في ابنه معالم النجابة عُني به. فأسمه إلى بعض المعلمين، ولم يلبث أن نقله إلى القاهرة وهو لا يزال في العاشرة ليكمل فيها تعلمه، وفي سن الرابعة عشرة وجد في نفسه ميلاً شديداً إلى تعلم الطب والفلسفة، فعكف عليهما"¹.

2. موضوع السيرة:

يتمحور موضوع سيرة علي ابن رضوان حول عرضه لمسيرة حياته العلمية، منذ مولده إلى غاية نبوغه العلمي المتميز في علم الطب والفلسفة والفلك، بحيث صور كفاحه في طلب العلم منذ سن مبكرة، بعزيمة وإرادة قويتين، "كما نراه إهتم بذكر عاداته وصفاته الحميدة، وتعرض لذكر المشاق التي واجهها أثناء تعلمه، وذلك بسبب إفتقاره للمال"².

3. البناء الفني :

1.3. طبيعة الخطاب: يتسم نوع الخطاب في سيرة علي ابن رضوان بالخطاب السردى التفسيري ذلك أن الكاتب ينقل لنا أخبار تجاربه الحياتية، فالتزم بتتبع سرد أحداثه بطريقة متسلسلة، عرض من خلالها مَوْلِدُهُ ثم نشأته فتعلمه، ثم ذكر أهم الصعوبات التي واجهته في مساره العلمي (عامل الفقر).

كما اعتبر إحسان عباس هذه السيرة ضمن الصنف الإخباري المحض، ذلك " أن هم كل واحدٍ من هؤلاء أن يعرف الناس أين نشأ، وكيف تعلم، وكيف كانت قابليته للعلم، ومن شيوخه، وما هي الكتب التي أَلْفَهَا، والبلاد التي زارها متنقلاً... "³، ولهذا الغرض وقف ابن رضوان موقف الشارح والمفسر لتلك الأحداث وبطريقة علمية دقيقة، خاصةً عند مَوْلِدِهِ، حيث ظهر كعالمٍ فلكي يُؤمن بعلم التنجيم ودلالاته. فاتضح ذلك من خلال النص: "ولدت

¹ شوقي ضيف، الترجمة الشخصية، دار المعارف، النيل، القاهرة، ط4، ص 30.

² تهماني عبد الفتاح شاكر، السيرة الذاتية في الأدب العربي، ص44.

³ إحسان عباس، فن السيرة، ص115.

بأرض مصر في عرض ثلاثين درجة، وطول خمس وخمسين درجة، والطلع بزيج يحيى بن أبي منصور الحمل وعاشره الجدي ومواضع الكواكب الشمس بالدلو والقمر...¹

يقصد من هذا التحديد مولده بدقة متناهية بالنسبة للوضع الفلكي، كما كان يعتقد علماء زمانه، أن للنجوم تأثيراً في تكوين الإنسان، محدداً بدقة خطوط العرض والطول، من جهة، ومبيناً الأبراج (الطلع، الحمل، الجدي..) ومواضع الكواكب من جهة أخرى. هذا ما عكس على ثقافته العلمية الواسعة.

إذ تعدى بعد ذلك إلى رواية ظروف نشأته وتعلمه، وكيف أنه أجهد نفسه في طلب العلم تسليماً وليس ترهيباً، ويبين أن العوامل المادية تكون عائقاً، لكن بالإرادة والاجتهاد يصنع الإنسان المستحيل حتى يحقق مراده. وعكس ذلك في النص من خلال: "...فلما بلغت السنة السادسة أسلمت نفسي في التعليم، ولما بلغت السنة العاشرة انتقلت إلى المدينة العظمى، وأجهدت نفسي في التعلم. ولما أقمت أربع عشرة سنة أخذت في تعلم الطب والفلسفة ولم يكن لي مال أنفق منه..."²

وما لبث عند ذلك حتى تطرق بنا نحو السرد حول ما يمكن اعتباره مبدأ مهماً في حياته يحفظ به صحته من المرض والأسقام وتمثل في الرياضة والغذاء المتوازن والكرم وعدم التبذير... الخ، معتبراً إياها صفات وعادات تلازمه في حياته، وتعبيراً عن ذاته. كما نلمسه في النص: "... أتصرف كل يوم في صناعتي بمقدار ما يغني، ومن الرياضة التي تحفظ صحة البدن، وأغتذي بعد الاستراحة من الرياضة غذاءً أقصد به حفظ الصحة، وأجتهد في حال تصرفي في التواضع والمدارة..."

وفي الأخير ختم سيرته ببعض الكتب التي كتبها العارفون حول ما ذكره من قيم وأخلاق. وهذا كل ما نص عليه الخطاب السردى والتفسيري باختصار شديد. فيعد خطاب ابن رضوان خطاباً صريحاً لأنه صرح على كتابة سيرته قائلاً: "والأجود أن أقتص إليك أمري..."³

¹ المصدر السابق ، ص 83.

² المصدر نفسه، ص 83.

³ المصدر نفسه، صفحة نفسها.

2.3. اللغة: اللغة في النص ذات طابع علمي من حيث الألفاظ والعبارات ، كما تجسدت في بعض الاساليب البلاغية مثل: "ثيابي مزينة بشعار الأخيار" فأضفت جمالية على أسلوب النص.

حضور الضمير (ضمير الأننا) يمثل حضوراً بارزاً من خلال الأفعال التالية: (بَلَّغْتُ، أَجْهَدْتُ، أَقَمْتُ، إِشْتَهَرْتُ، كَسَبْتُ...)، فهذه الأفعال تدل على تحريك الشخصية داخل النص. و نلمس في النص أن الكاتب هو الراوي وهو الشخصية مما يمنح النص الصدق والمصدقية ويحقق عقد الميثاق السيروذاتي.

3.3. تمثلات الذات: تمثلت الذات في:

- الذات العاملة الموسوعية: وتتجلى من خلال توظيف ابن رضوان لعلوم دقيقة كعلم الفلك والنجوم "وعطارد بالدلو وسهم السعادة بالجدي وجزء الاستقبال المتقدم بالسرطان، والجوزهر بالقوس..."¹ ، وهذا ما يؤكد انتماءه إلى نموذج العالم العربي الإسلامي.
- الذات المجتهدة والمثابرة : وتمثل ذلك في سعيه الدؤوب نحو دروب العلم والمعرفة، واعتماده على نفسه رغم كل العراقيل التي واجهته "...ولم أزل كذلك وأنا في غاية الاجتهاد في التعلم..."².
- الذات المهذبة الخلوقة: مبيناً أن العلم بدون أخلاق كالجسد بدون روح قائلاً: "...وألزم الصمت وكف اللسان عن معائب الناس وأجتهد أن لا أتكلم إلا بما ينبغي [...]، وإن طلب مني أحد سلفاً ووهبت منه، ولم أرد منه عوضاً..."³، فالعالم الذي يفتقد الأخلاق لا ينفع نفسه ولا مجتمعه.

المطلب الرابع: سيرة الذات - لشمس الدين السخاوي-

1. التعريف بشمس الدين السخاوي : " هو الحافظ شمس الدين أبو الخير محمد بن عبد الرحمان بن محمد بن أبي بكر ابن عثمان، بن محمد السخاوي الأصل

¹ المصدر السابق، الصفحة نفسها.

² المصدر نفسه، ص 83.

³ المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

القاهري المولد الشافعي المذهب، نزيل الحرمين الشريفين، ولد في ربيع الأول سنة 831هـ، حفظ عمدة الكلام، وألفية ابن مالك، توفي سنة 902هـ بالمدينة المنورة¹

2. موضوع السيرة :

تناول موضوع السيرة لدى شمس الدين السخاوي حول مسيرته العلمية في طلب العلم، حيث يعرض نشأته واتجاهه المبكر نحو القراءة والتحصيل. مبيناً إجهاده على الإطلاع على مختلف العلوم، ويتضح ذلك من خلال العنوان (قرأت الكتب الكبار والأجزاء الصغار).

3. البناء الفني:

1.3. طبيعة الخطاب : نوع الخطاب في نص السخاوي إمتاز بالخطاب السردى التفسيري، إذ يعرض الكاتب حياته ضمن أحداث متسلسلة زمنية، ويغلب عليها الطابع التفسيري لأنه يميل إلى الشرح والاستفاضة في تفسير مراحل تكوينه العلمي. يتجلى الطابع السردى في النص من خلال عرض الكاتب لأحداث حياته بشكل متابع، من المولد إلى النشأة في مراحل طلب العلم، حيث "أن بنية الحكي الاستعادي، بوصفها تشكيلاً إبداعياً، يشترط فيها دمج الأحداث المسردة في نسق مترابط لا يتخلله اضطراب أو تنافر، حيث يغدو تألف علاقاته سبيلاً للوصول إلى نهاية يرتضيها العقل لما أن تدرج عناصر هذا الحكي في جماع الأمر كله، هو محصلة لتراتبية الوقائع بأسلوب يصب في خانة الحكمة الفنية..."². مما يجعل النص السردى يبدو بصورة النسق الواحد المتكامل، إذ يفتح السخاوي السرد بالتعريف بنفسه (المولد، النشأة) ويجسد هذا القول في: "...محمدي بن عبد الرحمن بن محمد بن أبي بكر بن عثمان بن محمد، الملقب شمس الدين أبو الخير عبد الله بن الزين أو الجلال أبي [...] السخاوي الأصل القاهرة الشافعي..."³.

¹ ينظر، شمس الدين السخاوي بن عبد الرحمان السخاوي، الضوء اللامع لأهل القرن التاسع - دار الجيل، بيروت، ج1، (د، ط)، ص 2-3

² ناصر بركة، أدبية السيرة الذاتية في العصر الحديث، مذكرة دكتورا، جامعة الحاج لخضر، باتنة 2012، ص 59.

³ المصدر، محمود عبد الغني، ذخيرة الذات، ص 180.

ثم ينتقل بالسرد نحو بداية رحلته في طلب العلم والمعرفة بدءاً بزواج أخته الفقيه ثم لفقهاء آخرين، كما في قوله: "ثم نقله لزواج أخته الفقيه الصالح البدر حسين بن أحمد الأزهري [...]"، ثم توجه به أبوه لفقيهه المجاور لسكنه الشيخ المفيد النقا [...]. ثم انتقل بإشارة السعودي المذكور للعلامة الشهاب ابن أسد...¹. وإستمر فذكر المشايخ الذين أخذ عنهم، وإستفاض في الحديث عنهم وما يتعلق بهم شارحاً ومفسراً، قائلاً: "... وكلما إنتهى حفظه لكتاب عرضه على شيوخ عصره فكان من جملة من عرض عليه ممن لم يأخذ عنه بعيد: المحب بن نصر الله البغدادي الحنبلي والشمس بن عمار المالكي والنور التلواني والجمال عبد الله الزيتوني..."².

2.3. اللغة: جاءت اللغة في النص سردية تقريرية ومباشرة، ذات طابع تفسيري لأنها تعتمد على الإخبار وعرض المعلومات. وتفسيرية لأن الكاتب لم يتوقف عند هذا الحد. بل لجأ للشرح والتفسير.

- الضمير: ما نلاحظه في النص، أن الكاتب إعتد ضمير الغائب (هو) بدل ضمير المتكلم (أنا). وهو اختيار أسلوب يعكس نزوع الكاتب نحو الموضوعية التامة، بعيداً عن الذاتية المباشرة، بغرض إكتساء النص الطابع العلمي التقريري وكذلك يشير الى تقنع الكاتب وراء ضمير الغائب. كما يرى أحد الدارسين أن: "... من أشكال التقنع توظيف ضمير الغائب، الذي تبدو العلاقة بينه وبين ضمير المتكلم علاقة تبادل إرسال الخطاب بحيث يترك أحدهما المجال للآخر، لا ليلقي علينا الحدث من رؤية سردية مغايرة، ولكن فقط لإيهامنا لأن هناك خطابين متضافرين ومتمايزين"³؛ أي أن الكاتب يتعمد لذلك قاصداً منه ترك مسافة بين المؤلف والشخصية، وبالتالي إسقاط الذات على الموضوع، حيث لاصوت يعلو على صوتها في تقديم تجربتها الحياتية من وجهة نظر الذات نفسها.

¹ المصدر السابق، ص 180-181

² المصدر نفسه، ص 194-195.

³ ناصر بركة، أدبية السير الذاتية في العصر الحديث، ص 91.

- الميثاق السيروذاتي: رغم أن السرد يوحى بوجود راوٍ خارجي بسبب إعتداد الكاتب على ضمير الغائب، إلى أن الكاتب ذاته الذي يتحدث عن نفسه وراء ضمير الغائب... يهدف إضفاء الموضوعية والعلمية على سيرته. وهذا لا يمنع كون أن المؤلف هو نفسه السارد وهو نفسه الشخصية الرئيسية في النص، وبالتالي هذا التطابق يحقق الميثاق السيروذاتي (ضمنياً).

3.3. تمثيلات الذات: مما يظهر في النص أن ذات الكاتبة كانت تطمح لإثبات صورة الذات العاملة والذات المجتهدة، الشغوفة بالعلم والمعرفة؛

- الذات العاملة الشغوفة بالعلم : ويتمثل ذلك من خلال الاقبال الكبير للسخاوي على التعلم وكثرة الاطلاع على الكتب الكبار والأجزاء الصغار كما إتضح في العنوان. ويعكس هذا القول في النص: "... فقرأ عليه القرآن وصلى به للناس [...]"، ثم توجه به أبوه لفقيهه المجاور لسكنه الشيخ المفيد النقا...¹.

- الذات المجتهدة والموضوعية: الإجتهد، تمثل في السعي والمثابرة نحو الإطلاع على الكتب الضخمة والصغرى، للإلمام بجلي المعارف وتحقيق التميز العلمي. ما عكس ذلك في النص قوله: "...وأقرأ ألفية الحديث. تقسيمًا و غالب شرحها لنظامها والنخبة وشرحها وأملى مجالس، [...] ولما رجع للقاهرة شرع في إملاء تكملة تخريج شيخه للأذكار [...] ثم أملى له تخريج أربعين النووية...".²

وما استخلصته من دراسة هذه السيرة: هي ذلك النوع الأدبي الذي تناول حياة الأشخاص العلمية حيث تناول كتابها عرض مساراتهم العلمية من طلب العلم وذكر أهم المحطات التي صنعت فكرهم وعلومهم، فاستمت ملامحها بلغة علمية نوعا ما لما يخدم الموضوع، كما لاحظت حضور الأنا غير واضح، وربما ما ميزها أكثر هو صدق التجربة على

¹ المصدر السابق ، ص 180

² المصدر نفسه ، ص 189

عكس السيرة الذاتية الأدبية والتي ربما تمتزج بين الصدق والخيال وهذا ما سنعرضه في
المبحث التالي.

المبحث الثاني: سيرة الذات الأدبية

- المطلب الأول: سيرة الذات - ابن حزم الأندلسي -
- المطلب الثاني: سيرة الذات - لأبو الحيان التوحيدي -
- المطلب الثالث: سيرة الذات التوحيدي - فصل في حال الكاتب -
رسالة في أسباب حرف كثير كتابي
- المطلب الرابع: سيرة الذات - لسان الدين بن الخطيب

المبحث الثاني : سيرة الذات الأدبية

لكل نوع من السير الذاتية خصوصية معينة، وانطلاقاً من هذا المبدأ اعتمدت في تصنيف هذا النوع على أهم معيارين أساسيين في البناء هما: اللغة والأسلوب، حيث نجد أن كاتب السيرة الذاتية الأدبية لا يكتفي فقط بسرد الأحداث، بل نجده دائماً يسعى جاهداً لتقديم نصه في قالب قصصي مشوق. هذا ما يجعل اللغة معياراً أساسياً في التمييز بين أنماط السير الأدبية الأخرى، وكذلك مما يجعل الأسلوب معياراً ثانياً في الحكم على جمالية النص السيري في تحقيق البناء الفني المتراص. من خلال إختيار الألفاظ وطريقة السرد ومستوى التصوير ومدى حضور البعد الجمالي في الخطاب. وعليه وجدت كل من سيرة: ابن حزم الأندلسي، أبو الحيان التوحيدي، التوحيدي النص الثاني، لسان الدين ابن الخطيب.

يقول الدكتور يحي إبراهيم عبد الدايم في هذا الصدد أنه قد: "عَتَى كَثِيرٌ مِنْ هَذِهِ التَّرَاجِمِ الذَّاتِيَّةِ، بِإِثْبَاتِ عُنْصَرِي الزَّمَانِ وَالْمَكَانِ وَالْكَشْفِ عَنْ أَسْمَاءِ الشَّخْصِيَّاتِ وَالْأَمَاكِنِ، وَتَعْزِيزِ الْوَقَائِعِ بِإِثْبَاتِ التَّارِيخِ وَبَعْضِ الرِّسَالِ وَالْمَدُونَاتِ، مَعَ الْمَحَافَظَةِ عَلَى الْإِسْتِرْسَالِ وَعَلَى السَّرْدِ الْأَدْبِيِّ الْجَالِبِ لِلْمَتْعَةِ الْمُرَادَةِ مِنَ الْعَمَلِ الْأَدْبِيِّ، مِمَّا جَعَلَ التَّرْجُمَةَ الذَّاتِيَّةَ تَحْضِي بِعُنَايَةٍ عَظِيمَةٍ مِنْ جَانِبِ الْأَدْبَاءِ، وَيَقَابِلُهَا الْجُمْهُورُ بِإِقْبَالٍ شَدِيدٍ. لِأَنَّهَا أَرْضَتْ حَاجَةَ الْعَرَبِ الْقِصَصِيَّةَ إِذْ نَقَلَتْ لَهُمُ الْوَاقِعَ الْمَلْمُوسَ فِي صُورَةٍ قِصَصِيَّةٍ سَهْلَةٍ، عَذْبَةٍ..."¹

المطلب الأول : سيرة الذات - ابن حزم الأندلسي -

1. التعريف بابن حزم للأندلسي:

"هو علي ابن سعيد بن حزم بن غالب بن صالح بن خلف بن معدان بن سفيان بن يربود ويكنى: بأبو محمد أو إمام أهل الأندلس، ويعود نسبه إلى أنه فارسي الأصل، ولد بقرطبة ونشأ في بيئة ساعدته في تلقي العلم، ولديه مؤلفات عدة منها: مهرة أنساب العرب، حجة الوداع، طوق الحمامة والألفة والآلاف، وغيرها..."²

¹ يحي إبراهيم عبد الدايم، الترجمة الذاتية في الأدب العربي الحديث. دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، ص 39.

² ينظر، محمد عبد الله أبو صعليك الإمام ابن حزم الظاهري، دار القلم، دمشق، سوريا، ط 1، 1415 هـ - 1995، ص

2. موضوع السيرة:

تعد سيرة ابن حزم الأندلسي سيرة ذاتية أدبية، إن يعرض الكاتب تجربته العاطفية التي جمع فيها بين السرد والتأمل. إذ يقول إحسان ابن عباس: "لم يكتب أحدٌ في موضوع الحب كتابة قائمة على التجربة و المشاهدة والاعتراف وبعض التعمق النفسي، مثلما فعل ابن حزم الأندلسي، ولو أنه مزج كتابة أشعاره الكثيرة [...]". لأستوفي المتعة الصحيحة، وما قصر عن الغاية.¹ إذ يتناول ابن حزم موضوع سيرته حول الحب والإنفعال العاطفي، كما يتجلى في عنوان سيرته «أحببت جارية شقراء»، حيث يكشف لنا الكاتب عن تجربته الوجدانية، ويعمل على تحليل أسبابها، إذ يثير نصه أيضاً بإدراج أبيات شعرية أضفت عليه طابعاً أدبياً جمالياً في حين يرى بعض الباحثين أن: "كاتب السيرة الذاتية هنا - مثل الشاعر - يعبر في تجربته عما في نفسه من صراع داخلي، سواءً كان تعبيراً عن حالة من حالات نفسه هو، أم عن موقف إنساني عام تمثله في حياته، [...]".

3. البناء الفني:

1.3. طبيعة الخطاب: تتسم طبيعة الخطاب في سيرة ابن حزم الأندلسي، بالطابع السردى التفسيري إذ يعرض تجاربه الحياتية في قالب حكاوي إستعادي، ويظهر ذلك من خلال توظيف الكاتب الأفعال الماضية مثل: (وقع، منح، قال، وفق، جاء...) الدالة على وقوع الأحداث في الماضي.

أما في مستهل النص نجد أن الكاتب بدأ خطابه بالتفسير حول ماهية الحب والأسباب التي تؤدي إليه، قائلاً: "ولابد لكل حب سبب يكون له أصلاً [...] فمن أسبابه شيء... لولا أنني شاهدته لم أذكره..² في حين نجد ابن حزم لم يبدأ السرد مباشرة بتجربته الشخصية، بل استهل سيرته أيضاً بخبر عن عمار بن زياد الذي رأى جارية في المنام لا وجود لها في الواقع، فوقع في حبها. واعتبر هذا الخبر مجرد تمهيد لموضوع الحب. وبرزاً لطبيعته النفسية الوجدانية، قبل أن يشرع حكاية تجربته الذاتية. وذلك في النص من خلال قوله: "وذلك أنني دخلت يوماً على أبي السري عمار بن زياد صاحبنا مولى المؤيد فوجدته مفكراً مهتماً فسألته عما به، فتمعن ساعة ثم قال لي: أعجوبة

¹ دواح أحمد، السيرة الذاتية في الأدب العربي القديم، نومريس الأكاديمية، جامعة مغنية، الجزائر العدد - 02، 2020، ص43.

² المصدر، ص146

ما سمعت قط، قلت، وما ذاك؟ قال: رأيت في نومي الليلة جارية فاستيقضت وقد ذهب قلبي بها وهممت بها...¹. مستشهداً بذلك بأبيات شعرية، قائلاً:

"يَالَيْتَ شِعْرِي مَنْ كَانَتْ وَكَيْفَ سِرْتُ
أَطْلَعُهُ الشَّمْسُ كَانَتْ أُمُّ هِيَ الْقَمَرُ
أَظْلَنُهُ الْعَقْلُ أَبْدَاهُ تَدْبُرُهُ
أَوْ صُورَةُ الرُّوحِ أَبْدَتْهَا يَ الْفِكْرُ"²

ثم ينتقل بالسرد الى الجدال الذي وقع بينه وبين رجل من الأشراف مستشهداً بأبيات من الشعر:

"أَبْدَلْتُ أَشْخَاصًا كُرْهًا وَفَرَطَ قَلْبِي
كَمَا الصَّحَائِفُ قَدْ يُبْدَلْنَ بِالنَّسْخِ"³

ويستمر بالسرد إلى عرض الودية التي كانت بينه وبين أبي عامر رحمة الله عليه، رغ العداوة التي كانت بين أبيهما مستشهداً كلاً ذلك قائلاً:

"أَخْ لِي كَسَبْنِيهِ الْإِقَاءُ
وَأَوْجَدَنِي فِيهِ عِلْقًا شَرِيفًا
وَقَدْ كُنْتُ أَكْرَهُ مِنْهُ الْجِوَارَ
وَمَا كُنْتُ أَرْغَبُهُ لِي الْيَفَا"⁴

وظل يطنب بالحب وهواه إلى أن استقر به الحال في حب « جارية شقراء » و يتجلى ذلك في النص من خلال: "... وعني أخبرك أني أحببت في صباي جارية لي شقراء الشعر فما إستحسننت من ذلك الوقت سوداء الشعر ولو أنه على الشمس أو على صورة الحسن نفسها. وإني لا أجد ذلك في أجمل تركيبي ..."⁵. فإبن حزم يقر بأنه وقع في الحب وأن هذا الطبع له تركيبة متوارثة، حين قال أن أبي كان هذا هو طبعه إلى أن مات. ويصرح بأن المقام الذي كان فيه كان له سبباً في وقوعه في الحب، لأنه كان يعيش بين جناحي السلاطين والأمراء. وكان لهذا الامر لابد أن يحدث. وفي ختام السرد بين أن المحب قد يعاني بسبب الحب الذي وقع أسيره، قائلاً:

"دُمُوعُ الْحُبِّ تُفْسِدُكَ
وَسِرُّ الْحُبِّ يَنْتِيكَ
كَانَ الْقَلْبُ إِذْ يَبْدُو
قُطَاةً ضَمَمَهَا شِرْكُكَ"⁶

¹ المصدر السابق، الصفحة نفسها

² المصدر نفسه، ص 147

³ المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

⁴ المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

⁵ المصدر نفسه، ص 150

⁶ المصدر نفسه، ص 152

2.3. اللغة : اللغة أدبية مجازية، تقوم على توضيف الصور البيانية، كما يظهر في النص: « صور عن الود » :

"فَكَانَ الْبَغِيضُ فَصَارَ الْحَبِيبُ فَكَانَ الثَّقِيلُ فَصَارَ الْخَفِيفُ
وَقَدْ كُنْتُ أَدْمِنُ عَنْهُ الْوَجِيفَ فَصِرْتُ أَدِيمُ إِلَيْهِ الْوَجِيفَا"¹

وكذلك في قوله: حول شدة التعلق والحب، في تعبير مجازي رائع:

"كَانَ الْقَلْبُ إِذْ يَبْدُو قُطَاةً ضَمَّهَا شَرُّكَ"²

مما أكسب النص بعداً جمالياً، يقصد به التأثير في القارئ، ونقل التجربة العاطفية له، ما يؤكد تشبع ابن حزم بثقافة أدبية واسعة.

- الضمير: ضمير المتكلم في النص بارز وواضح، وتمثل في النص : (أني دَخَلْتُ، ووقع لي، عندي، كان بيّني، وإنّي لأطيل،...) وهذا ما يدل على أن النص سيرة ذاتية، ويدل على حضور الذات الكاتبة بشكل مباشر لتكشف عن نزعتها الإعرافية الوجدانية في النص.

- الميثاق: وبما أن الذات الكاتبة هي الساردة. وهي الشخصية التي تعبر عن تجربتها الوجدانية فهي تحقق التطابق ويتالي محقق الميثاق السير وذاتي.

3.3. تمثيلات الذات: تعددت في النص:

- الذات النافذة للحب الوهمي: ويتجلى في قوله: "من الخطأ العظيم أن تشغل نفسك بغير حقيقة، وتعلق وهمك بمعدوم لا يوجد..."³.

- الذات المحاجة: نجد ابن حزم يحتاج عن كل ما يتعلق بالحب بأبيات من الشعر العربي الجميل.

- الذات الحساسة العاطفية: ويتجلى ذلك من خلال عرض الكاتب تجربة الحب العميق قائلاً:

"إِلَى كَمِّ ذَا أُكْـاتِمَةٍ وَمَالِي عَنْهُ مُتَّـرِكٌ"⁴

فهو يعرض تجربته الخاصة ويبوح ويكشف عن مشاعره وأفكاره الصادقة.

¹ المصدر السابق، ص 147

² المصدر نفسه، ص 152

³ المصدر نفسه، ص 146

⁴ المصدر نفسه، ص 152

المطلب الثاني: سيرة الذات -أبو الحيان التوحيدي- رسالة في أسباب حرق كتي

1. التعريف بأبو الحيان التوحيدي

" هو علي بن محمد بن العباس أبو حيان التوحيدي، شيرازي الأصل، وقيل نيسابوري، ووجدت بعض الفضلاء يقول له الواسطي، صوفي السمة والهيئة، قدم بغداد فأقام بها مدة، صحب أبا القاسم إسماعيل بن عباد وقبله أبا الفضل ابن العميد . كان لا يحمدهما وعمل كتابا في متاليهما. غير أنه ذكر عن نفسه في رسالة (الصديق والصدّاق). أنه قد أحرق كتبه في أواخر عمره لقلّة جدواها ضناً بها على من لا يعرف قدرها بعد موته، حيث كتب اليه القاضي أبو سهل علي بن محمد يعدّله على صيغه ويعرفه قبح ما إعتد من الفعل وشنيعه، فكتب إليه أبو الحيان يعتذر من ذلك." ¹ وذلك برسالة التي اعتبرت جزء من سيرته التي سنقوم بدراستها الآن.

2. موضوع السيرة:

في حين أن موضوع السيرة عند أبو الحيان التوحيدي تناول التعبير عن الإحساس العميق الذي يدلي بالحرقة والألم، حيث يعبر الكاتب عن شعوره بالخذلان من أناس لا يؤمنون بقيمة العلم، مما أدى به إلى الإهمال والتهميش فأثار لديه معاناة نفسية حادة، أدت به إلى فقد الثقة بينه وبين مجتمعه. فقرر حرق كتبه بيده.

3. البناء الفني:

1.3. طبيعة الخطاب: يغلب على سيرة أبو حيان التوحيدي الطابع السردى الحجاجي، لأن الكاتب يسرد تجربته الشخصية ومعاناته. من خلال تتبع الأحداث التي عاشها. ويحاجج دفاعاً عن مواقفه في حرق كتبه. لإقناع القراء وتبرير ما ذهب إليه بسبب الإحتقار والتهميش الذي تعرض له.

عند استرجاع الكاتب لذكرياته و أحداثه لم يكتفي بالسرد فقط، وإنما استهل نصه بالخطاب

¹ ياقوت الحموي الرومي، معجم الأدباء إرشاد الأديب إلى معرفة الأديب دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، تج: إحسان عباس، ج 5- ط 1، 1993، ص 818

الحجاجي منذ الوهلة الأولى، دفاعاً عن نفسه، و تبريراً لمواقفه أمام القاضي أبو سهل على بن محمد، رداً عليه في رسالة. تفيض بروح العتاب والحجاج على ما اقترفه، وتبين ذلك من خلال النص في: "حرسك الله أيها الشيخ من سوء ظني بمودتك وطول جفائك، وأعاذني من مكافئتك على ذلك، وأجارنا جميعاً مم يسود وجه عهد إن رعيناه كنا مستأنسين به ..."¹، ولتقوية الحجة أكثر أعطى مثلاً عن قيمة العلم الذي صاحبه، واعتبر أن العلم لا قيمة له دون العمل به، وأن العلم إن لم يعمل به صار عبثاً على صاحبة فقال في ذلك: "أن العلم حاطك الله يراد به العمل، كما أن العمل يراد به للنجاة فإذا كان العمل قاصداً عن العلم كان العلم كلا على العالم، وأنا أعوذ بالله من علم عاد كلا وأورث ذلاً وصار في رقبة ..."². ثم ينتقل أبو حيان ليعبر لنا عن مرارة التجربة التي أدت به إلى حرق كتبه سبب سخطه على الناس في أواخر عمره. ومن قوله فيها: "مما شحد العزم على ذلك ورفع الحجاب عنه أني فقدت، ولداً نجيباً، وصديقاً حبيباً، وصاحباً قريباً، وتابعاً أديباً، ورئيساً مثيباً، فشق علي أن أدعها لقوم يتلاعبون بها ويدنسون عرضي، اذا نظروا فيها، ويشتمون بسهوي وغلطي إذا ..."³.

ويقول التوحيدي أنه إقتدى بأئمة في زمانه محرقاً كتبه فقال: "و بعد فلي في إحراق هذه الكتب أسوة بأئمة يُقتدى بهم ويُؤخذ بهديهم.... منهم: أبو عمرو بن العلاء [...] وهذا داود الطائي...، وهذا يوسف بن أسباط [...]"، وهذا أبو سليمان الداراني جمع كتبه في تنور وسجرها بالنار..."⁴. وكلها حجج إستعملها أبو حيان ليدافع عن موقفه. لأن الظلم والألم والحزن الذي إشتد به، أدى به إلى العزلة والتهميش في وسط مجتمع لا يؤمن بالعلم ولا يعطي قيمة لصاحبه. ويحاول أن يقنع المتلقي بكلامه بالإلحاح بالحجج، لكي يكون أكثر صدقاً وأقرب إلى الحقيقة. إذ نجد أن إحسان عباس يقول في هذا الصدد: "أن الصدق الخالص أمر يلحق بالمستحيل كما أن

¹ المصدر، محمود عبد الغني، ذخيرة الذات، ص134

² المصدر نفسه، الصفحة نفسها

³ المصدر نفسه، ص135

⁴ المصدر نفسه، ص136

الحقيقة في السيرة الذاتية صدق نسبي، مما يخلص صاحبها في نقلها على حالها. ولهذا فالصدق في التجربة الذاتية مجرد محاولة وليس أمراً حقيقياً¹.

وفي مقاطع أخرى من النص يروي لنا التوحيدي عن تجاربه المريعة مع ابن عباد، ومع صاحب، وهذين الاثنين ألفا فيهما التوحيدي كتاباً كاملاً في مثابتهما، وكانا سبباً مباشراً في قهر أبو حيان، مما أدى به إلى حرق كتبه. واتضح في النص من خلال قوله: "طلع ابن عباد علي يوماً في داره وأنا قاعد كسر إيوان الكتب شيئاً كان كأدني به، فلما أبصرته قمت قائماً فصاح بحلق مشقوق، أقعد فالوراقون أخس من أن يقوموا لنا..."². ففي هذا المقطع ينص أن ابن عباد كان متقصداً الإهانة به والخط من كرامته؛ بينما عن صاحب فقال:

"وحدث أبو حيان قائلاً: "قال صاحب يوماً: فِعْلٌ وَأَفْعَالٌ قليل وزعم النحويون انه ما جاء إلا زَنْدًا و أَرْزَادًا، وفرخ وأفراخ، وفرد وأفراد فقلت له: أنا احفظ ثلاثين حرفاً كلها فِعْلٌ وَأَفْعَالٌ، فقال: هاتِ يا مدعي. فسردت الحروف ودللتُ على مواضعها من الكتب ثم قلت: ليس للنحوي أن يلزم مثل هذا الحكم إلا بعد التبصر والسماع الواسع، وليس للتقليد وجه إذا كانت الرواية شائعة والقياس مطرداً..."³؛ إلى أن اختتم نصه بدليل قرآني يوضح من ذلك ثقافته الدينية فجاء في النص قائلاً: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، اللَّهُمَّ هَيِّئْ لِي مِنْ أَمْرٍ ارشداً...﴾⁴.

2.3. اللغة: جاءت لغة النص لغة جياشة إنفعالية، مفعمة بالعواطف الحزينة. التي تعبر عن خيبة أمل الكاتب، وعن معاناته النفسية العميقة حيث تمثلت في الألفاظ الآتية: (ضَمًّا، بَرَحَ، إِلْتَهَبَ، إِحْرَاقُ، النَّارِ، أَدْمَى، الرَّوْعُ، حَزْنًا، أَسَى، جَوَى، ظَنَى، شَجَى، جَفَاكَ...) وتنتمي هذه الألفاظ إلى الحقل الدلالي الدال على الحزن والألم (الأسى)، واتسعملها كاتبها ليستدل على إحساسه المرير.

أما عن الأسلوب فقد اعتمد التوحيدي عدة أساليب تنوعت من الخبري والإنشائي والبلاغي، فجاء الخبري ليعرض لنا التجربة، بينما الإنشائي ليشرحها، فتمثل في النداء: "حرسك

¹ ينظر عبد العزيز شرف، أدب السيرة الذاتية، ص 21

² المصدر السابق، ص 138

³ المصدر نفسه، ذخيرة الذات، الصفحة نفسها.

⁴ المصدر نفسه، ص 142

الله أيها الشيخ من سوء ظني... والدعاء: " فأدام الله نعمته عندك وجعلني على الحالات كلها فذاك"، أما الاستفهام: "وماذا أقول بعد هذا وبما تقابلي بعد ذلك؟". أذ نجد لغة النص لغة إحيائية غير مباشرة، إمتازت ببلاغة الكلام، مثل: "قد نقب خفك ما سمعت فقد أدمى أضلي ما فعلت". وتنوع الأساليب أثري النص عند أبو حيان مما جعله ينبض بصرخات باطنية عميقة، أظهرت الجانب التأملي للكاتب.

- ضمير المتكلم (الأنا): يظهر الأنا في نص التوحيدي بصورة واضحة، من خلال العبارات التالية: (وأنا أجود عليك الآن بالحجة، فإن قلت...، فإني في عشر التسعين...، وماذا أقول بعد...، وأن احتجت إليه...، ثم إني أيدك الله، ...،) وهذا ما يعكس على أن الكاتب يتحدث عن نفسه وينقل لنا تجاربه الذاتية الحياتية. مما يدل على تطابق الأنا الكاتبة مع الأنا الساردة، ويثبت عقد الميثاق السيروذاتي عند أبو حيان التوحيدي.

3.3. تمثيلات الذات: نظرا للإلتزام النفسي الذي حل بالتوحيدي جعله فتنقص عدة

تمثيلات، تبريراً لمواقفه، ودعماً لإحتياجاته منها:

- الذات الخلوقة والمهدبة: فقد اعتمد أبو حيان أسلوباً مهذباً، خلال رده في رسالة على القاضي أبو سهل، معاتباً له على إتهامه له عند حرقه الكتب مخاطباً إياه: "حرسك الله أيها الشيخ من سوء ظني بمودتك وطول جفائك...".¹
- الذات المقتدية: وذلك في النص: "وبعد فلي في احراق هذه الكتب أسوة بأئمة يقتدى بهم ويؤخذُ بهديهم ويغشَى إلى نارهم...".²
- الذات المحاجة: هو الغاية التي كتب من أجلها نص التوحيدي: "ثم اني -أيدك الله - ما أردت أن أجيبك عن كتابك لطول جفائك وشدة التوائك عمن لم يزل على رأيك - مجتهداً في محبتك على قربك ونأيك مع ما أجده من إنكسار النشاط، وإنطواء الانبساط لتعاور العلل علي...".³

المطلب الثالث: التوحيدي - فصل في حال الكاتب -

1. التعريف بالكاتب: فقد سبق لنا أن تناولنا تعريفاً له، فيما سبق ذكره.

¹ المصدر السابق، ص 134.

² المصدر نفسه، ص 136

³ المصدر نفسه، ص 137

2. موضوع السيرة: في هذا الفصل (فصل في حال الكاتب)، تناول أبو حيان التوحيدي بسبب تأليفه الكتابة «الصدقة والصديق»، إذ نجده يروي لنا عن تجاربه النفسية التي مر بها في أواخر عمره. والتي صور خلالها حجم المعاناة التي لحقت به، بيّب التضييق والتمهيش له و لعلمه الذي أتى به. حيث اعتبر أن الصمت باباً للحكمة عند اقدام أي شخص على الهلاك.

3. البناء الفني

1.3. طبيعة الخطاب: يتسم النص بالخطاب الحجاجي لأن الكاتب اعتمد في رواية أحداثه على الحجائية للدفاع على نفسه أمام الناس (حرقه للكتبه).

أول حجة لتأليف كتابه هي: الأساس بالحرقة والألم، ويعكس هذا في النص قائلاً: "ومن العجيب والبديع أنا كنا هذه الحروف على ما في النفس من الحرق والأسف والحسرة، والغيط، والكد، والومد، وكأني إذا قرأها تقبضت نفسه عنه..."¹. كما يظهر أبو حيان ثاني سبب لتأليف كتابه: حديث عن الصدقة أمام زيد بن رفاع، والذي بدوره نقل الحديث الذي دار بينه ومن أبو حيان إلى ابن سعدان الوزير أبو عبد الله، الذي أعجب بكلام التوحيدي، فطلب منه أن يدونها كتابة، ويضيف له ما يراه مناسباً، حيث إعتبر موضوع الصدقة من الأمور الجميلة والممتعة والتي تثير إهتمام الناس أجمعين، ونص ذلك من النص:

"إني ذكرت شيئاً منها لزيد بن رفاع -أبي الخير - فمناه الى ابن سعدان الوزير أبي عبد الله سنة إحدى و سبعمائة. قبل تحمله أعباء الدولة، وتديره أمرالوزارة، حين كانت الاشغال حقيقة، والاحوال على إذلالها . فقال لي ابن سعدان: قال لي زيد عنك كذا وكذا، قلت كان ذلك، قال: فدون هذا الكلام، وصله بصلاته[...]، وشغلت عن رد القول فيها، وأبطأت أنا..."².

2.3. اللغة: اللغة في النص لغة ذاتية . لأن الكاتب ينطلق من ذاته لعرض أسبابه في تأليف الكتاب . كما تعد لغة مباشرة و واضحة. و جاء أسلوب النص حجاجي . لأن الكاتب يعرض أسباب تأليف كتابه.

¹ المصدر السابق، ذخيرة الذات، ص144

² المصدر نفسه، ص146

- **الضمير** : ضمير الأنا واضح في النص من خلال العبارات التالية : (أَنَا كتبنا هذه الحروف...، وإنما أشرتُ بهذا...، فلا ارى إلى جنبي...، إني ذكرت...) وهته العبارات تبين أن الخطاب نابع من ذات الكاتب. وبالتالي يتطابق الكاتب مع ذات السارد والشخصية في النص، وهذا ما يحقق الميثاق السيروذاتي.

3.3. تمثيلات الذات: وتتجلى في النص على عدة صور منها:

- الذات المتأزمة نفسيا : ويدل ذلك على الحسرة والتألم قائلاً: "ومن العجب والبديع أنا كتبنا على ما في النفس من الحرق، والأسف، والحسرة، والغیظ، والكمد، والومد..."¹.
- الذات الكاتبة: وتجلى ذلك حين وجه ابن سعدان الكلام لأبو حيان بتدوينه فقال: "فدون هذا الكلام، وصاله بصلاته مما يصح عندك لمن تقدم..."².
- الذات المفكرة : ويتجلى ذلك من خلال التفكير في موضوع الصداقة وما يمكن أن تحققه، بين الناس، وما هو تأثيرها قائلاً: " فإن حديث الصديق حُلُو ، ووصف الصاحب المساعد مُطرب، فجمعت ما في الرسالة، وشغلت عن رد القول فيها، وأبطأت أنا عن تحريرها إلى أن كان من امره ما كان ..."³.

المطلب الرابع: - لسان الدين بن الخطيب-

1. التعريف بلسان الدين بن الخطيب:

"هو لسان الدين أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن سعيد عن عبد الله بن سعيد ابن علي بن أحمد السلماني، والسلماني نسبة إلى سلمان، وهو حي من مراد من عرب اليمن القحطانية، وقد دخل الاندلس عقب الفتح منهم جماعة من الشام ومهمن سلف لسان الدين. ولد ابن الخطيب بمدينة لوشا في الخامس والعشرين من رجب سنة 713 هـ (16 نوفمبر 1313)، توفي قتيلا مع والده الأكبر سنة 841 هـ"⁴.

¹ المصدر السابق، ص 144

² المصدر نفسه، ص 145

³ المصدر نفسه، الصفحة نفسها

⁴ ينظر، لسان الدين بن الخطيب، الإحاطة في أخبار غرناطة لى الوزارتين، مكتبة الخانجي، القاهرة، تح: محمد عبد الله

غنان، مج: 1، ط 2، 1973 م / 1393 هـ ص 17.

2. موضوع السيرة:

يتناول النص السيرة عند لسان الدين بن الخطيب تجربة رحلية تمثلت في زيارته إلى منطقة هنتاتة بالمغرب الأقصى، حيث يصف ابن الخطيب جمال هذه المنطقة وخصوبتها الطبيعية والتاريخية، كما يسرد عن قيمتها السياسية (الدولة المرينية).

3. البناء الفني

1.3. طبيعة الخطاب : إتسم النص بالخطاب السردى والوصفى حيث عمد الكاتب على وصف المنطقة جغرافيا وتاريخيا، وبالغ في وصف أمير المنطقة محمد الهنتاتي، بغرض المدح والتمجيد والإشادة بمكانته، وتجلت المقاطع الوصفية في عدة مواطن من النص. حيث نجد الكاتب إستهل نصه بمقطع وصفى تمثل في: وصف المنطقة (هنتاتة): "و عملنا على الصعود إلى الجبل المطل عليها، والجراح المرفرف على دراجها مقتصدين على حدود هنتاتة، عنصر الدعوة، وأولياء الدولة المرينية..."¹.

وفي مقطع آخر يصف فيه ممدوحه الأمير عامر بن محمد الهنتاتي بأنه السيد صاحب النفوذ، وصاحب الحكمة وحسن التدبير المشهور بالفصائل...، ونذكر ما جاء في النص: "... وشاه تلك الرقعة، صدر هذه الحدود القصور، المتميز بالرجاحة والرأي والسياسة، المتفق فيه على إفاضة العدل، وكف اليد، والتجافي عن مال الجباية والمتأثر بحمد الجمهور من الرعية، وحب أولى العفاف والخيرية..."²؛ كما يقفُ أيضًا مستشهدًا بأبيات شعرية واصفًا، قائلًا في النص:

"تَقُولُ لِي الْأَظْغَانُ وَالشَّوْقُ فِي الْحَشَا لَهُ الْحُكْمُ يَمْضِي بَيْنَ نَاهٍ وَأَمْرِهِ

إِذَا جَبَلَ التَّوْحِيدِ أَصْبَحَتْ فَارِعَا فَخِيمُ قَرِيرِ الْعَيْنِ فِي دَارِ عَامِرٍ

نجد الخطيب قد بالغ في وصف جبل هنتاتة، فاعتبره مكان مقدس كالحج له العصمة كالبقاع المقدسة. إذ يواصل سرده واصفًا الأماكن والمسالك التي مرَّ بها. قائلًا: "... فاقترحنا وعراً نزل فيه الدر، ولا يسلكه مع الحلم الطيف وتسمننا وشعاباً تعجز عنها العصم، وتجاوزنا مهاوي مدت فيها أسراط الخشب ترتفع عند الضرورة الفادحة، فتقطع عنم وراءها الآمال... وهي دار

¹ المصدر محمود عبد الغني، ذخيرة الذات، ص 174

² المصدر نفسه، الصفحة نفسها

قوراء نبهة البنية بالنسبة إلى جنسها .. ساذجة بادية ملطخة الجدران بالطبين الأحمر، متقابلة الأشكال بيوتها، لاطية السقف غير مهذبة الخشب بأعلامها غرف من جنسها ...¹.

ولم يكتفي الكاتب في الوصف إلى هذا الحد، بل لجأ لوصف الرجال (عبد العزيز بن محمد الهنتاتي) بحسن الوجه والراجح الوقار... والظاهر الحياء... وإثيار الحشمة، وصف كذلك سهل الوادي وظلة اشجاره وحرارة عيونه، و وصف مكان الأشرف للذين أقاموا به مصورا المأكولات ولذتها، والأفرشة ورتابتها، والسيوف وحدتها... . وإلى أن ختم تجربته بمفارقة أهل هنتاتة وفي قلبه حسرة الفراق فأنشد يقول:

"إِذَا غَدَا الطَّيِّبُ يَجْرِي فِي مَفَارِقِهِمْ رَاخُو كَأَنَّهُمْ مَرَضَى مِنَ الْكَرَمِ"²

2.3. اللغة: إتسمت لغة النص بالجمال الفني، لأن الكاتب اعتمد على الأساليب البلاغية المتنوعة في عرض أفكاره، مما جعل اللغة تكتسي بطابع مزخرف منمق، وذلك لتنوع التراكيب والمبالغة في الأوصاف و المدح. مثلا في قوله : (تُغُورُ الْأَمَانِي مِنْ ثَنَائِيَا الْبَشَائِرِ)، (إذ الشمل جميع، والزمن كله ربيع، والدهر مطيع سميع).

- الضمير: يظهر تماهي الأنا في النص من خلال الألفاظ التالية منها: (عملنا، قَيِّمْتُ، عَرَضْتُ، توجَّهْنَا، كِدْنَا، فاقتحمنا، إنحدرنَا، إنتقلنا...) فهذه الأفعال توحى لمشاركة الكاتب في الأحداث وإندماجه مع الجماعة. الرحلة تجربة جماعية حية، تُقوي الإحساس بالواقعية لإشراك القارئ في تجربته الحياتية.

3.3. تمثلات الذات: في النص تمثلات عديدة ظهرت من خلال:

- الذات الكاتبة : جاء في النص أن ابن الخطيب قد دون رسالة بعث بها إلى السلطان عامر ليا محمد طالبا منه زيارة مدينة هنتاتة التي تمثل تاريخ الدولة المرينية. في قوله : "وقدمت بين يدي وصلى إلى مراكش، المخاطية إلى عميد تلك البقعة، وشاد تلك الرفعة، صدر هذه الحدود القصوى..."³.

¹ المصدر السابق، ص 177

² المصدر نفسه، ص 179

³ المصدر سابق، ص 174

- الذات الشاعرة : وتظهر من خلال تعبير الكاتب عن مدى الشوق ، فأنشد شوقاً قائلاً:

"تَقُولُ لِي الْأَطْفَانُ وَالشُّوقُ فِي الْحَشَا لَهُ الْحُكْمُ يَمْضِي بَيْنَ نَاهٍ وَأَمْرِهِ

إِذَا جَبَلَ التَّوْحِيدِ أَصْبَحَتْ فَارِعَا فَخِيمُ قَرِيرِ الْعَيْنِ فِي دَارِ عَامِرٍ"¹

- الذات الرحالة: وظهرت ذات السان الدين في التنقل من مكان إلى آخر قصد إبراز شخصية

الكاتب الرحالة. قائلاً : "و من الغد كان التوجه إلى ذلك المحل المبارك، فاقترحنا وعراً نزل فيه

الدر، ولا يسلكه مع الحلم الطيف وتنمنا شعاباً تعجز عنها العصم، وتجاوزنا مهاوي مدت فيها

أيراط..."²

- الذات الوصفية : نجده يركز على وصف الأماكن والمسالك، ولا تكاد أن تفوته الفرصة، دون

أن يحق الشيء حتى يحقق له المشهد وكأن تراه حيث يقول في وصف الدار : "وهي دار قوراء نبهة

البنية بالنسبة إلى جنسها .. ساذجة بادية ملطخة الجدران بالطيين الأحمر، متقابلة الأشكال

بيوتها، لاطية السقف..."³

وما توصلت إليه في هذا المبحث استعمال كتّابها للسرد والوصف والحجاج بغرض الحكي

والدفاع عن النفس، وتوظيف المشاعر والأحاسيس مثل الحب، الحزن، والألم وهذا ما عكس

بروز الأنا وحضورها بقوة، فأدى بتنوع ذواتها بين الذات المحبة والذات المتألّمة، كما في نص ابن

حزم الأندلسي والتوحيدي، فكادت أن تكون مخالفة للسيرة التاريخية والتي سنتطرق إليها في

المبحث التالي.

¹ المصدر السابق، صفحة نفسها

² المصدر نفسه، ص 177

³ المصدر نفسه، الصفحة نفسها

المبحث الثالث: سيرة الذات التاريخية

- المطلب الأول: سيرة الذات -أسامة بن المنقذ -
- المطلب الثاني: سيرة الذات -إبن خلدون -
- المطلب الثالث: سيرة الذات - عبد الله ابن بلقين –
- المطلب الرابع: سيرة الذات - للمؤيد بالله محمد بن إسماعيل -

المبحث الثالث: سيرة الذات التاريخية

مما لاشك فيه أن السيرة الذاتية هي جزء من التاريخ، لأن الأصل فيها إعادة كتابة تاريخ الفرد؛ أو بالأحرى كتابة أهم المحطات والتجارب. التي أُوْقَعَتْ لَهُ أثرًا في حياته. مما يضطر الكاتب أن يمزج بين الذات الشخصية والبعد التاريخي، فيجعلها مصدرًا لفهم حياة الأفراد وتحول المجتمعات ومن هذا الباب اعتمدت تصنيف هذه السير، إنطلاقاً من تفاعل الذات مع المجتمع. وفي هذا السياق يقول احسان عباس في فن السيرة: " فكلما كانت السيرة تعرض للفرد في نطاق المجتمع، وتعرض أعماله متصلة بالأحداث العامة أو منعكسة منها أو متأثرة فإن السيرة في هذا الوضع تحقق غاية تاريخية، وكلما كانت السيرة تجتزء بالفرد وتفصله عن مجتمعه [...]، فإنّ صلتها بالتاريخ تكون واهية ضعيفة ".¹ فضمت كل من سيرة : أسامة المنقذ، سيرة ابن خلدون، سيرة عبد الله ابن بلقين ،سيرة المؤيد بالله محمد بن إسماعيل.

في حين يقول شوقي ضيف: "وكتب بعض الساسة ورجال الحرب تجاربهم في حياتهم السياسية أو الحربية، وهي تجارب خارجية في أكثرها، ولكنها تصور جوانب مهمة من أحداث حياتنا في العصور الوسطى، إذ إتفق أن كل من هؤلاء الرجال دعاة لبعض النحل الدينية السياسية وأبطال أسهموا في الحروب الصليبية غرباً وشرقاً في الأندلس والشام، فقدموا لنا مذكرات ووثائق تاريخية خطيرة، وإن كانوا قلما قدموا حياتهم الخاصة في شكل يوميات دقيقة".²

المطلب الأول: سيرة الذات - أسامة بن المنقذ -

1. التعريف بأسامة بن المنقذ:

"هو أحد أبطال المسلمين في الحروب الصليبية ببلاده في الشام، وقد زار مصر فشارك أحداثها السياسية، ثم إلى الموصل (العراق)، إذ تولى أعمالاً كثيرة لأمرأء مختلفين آخرهم صلاح

¹ احسان عباس ، فن السيرة، دار الشروق، عمان، الأردن، ط1، 1996، ص12.

² شوقي ضيف، الترجمة الشخصية، دار المعارف، النيل، القاهرة، ط4، (دت)، ص6

الدين الأيوبي، عاش حقبة من الزمن 488 هـ / 1090 م إلى سنة 584 هـ / 1188 م على عمر يناهز المئة سنة وهو 96 سنة¹.

2. موضوع السيرة:

يتحدث موضوع سيرة أسامة بن المنقذ «رحلاتي وحروبي» عن حدث تاريخي واقعي، إذ يروي عن تجاربه الحربية والرحلية أيام الحروب الصليبية. تنقلاته بين المدن والبلدات، مثل مصر، والسودان، وعسقلان والبصرة، ودمشق. في ظل الاضطرابات السياسية والعسكرية بين المسلمين والإفرنج.

3. البناء الفني:

1.3. طبيعة الخطاب: طبيعة الخطاب في سيرة أسامة بن المنقذ يغلب عليها الطابع السردى الإخباري. لأن الكاتب يعتمد في كتابة سيرته على سرد أحداثه، وتتبع تنقلاته وتجاربه الحربية والرحلية على التسلسل الزمني والمتتابع. يبد أنه يتخلله بعض الوصف في بعض المحطات، إمّا لوصف الأمكنة أو الأحوال أو الشخصيات. ويتجلى الطابع السردى في النص في استخدام الكاتب للأفعال الماضية، الدالة على الحكى الاستعادي (الرجوع بالماضي) مثل: (قَالَ، عاد، خرج، قبض، جلس، قتل سار، جمع، دخل، أفرد، بلغ، جمع، خلع، فرغ...).

ومن دلائل الطابع السردى في النص أن الكاتب استهل نصّه بذكر حدثٍ تاريخي تمثل في تخالف الروم مع الإفريج لغزو مدينة شيرز، بعد ذلك بدأ في تسلسل عرض الأحداث، قائلاً: "ثم إن ملك الروم عاد خرج إلى البلاد في سنة إثنين وثلاثين وخمس مئة، واتفق والإفريج، خذلهم الله وأجمعوا على قصد شيرز و منازلها..."² وهذا ما يدل على معاصرة ابن منقذ للاضطرابات السياسية في ذلك الوقت، ثم لينتقل بالسرد بعد ذلك ليروي النكبة التي أحلت به، جراء ذهابه إلى شيرز لإحضار ماله، بعد أمرٍ من صلاح الدين للرحيل إلى الموصل بسبب توتر الأوضاع. قائلاً: "فورد على قلبي من هذا هم عظيم وقلت: أترك أولادي وإخوتي وأهلي في الحصار وأسير إلى

¹ ينظر، شوقي ضيف. الترجمة الشخصية، دار المعارف، النيل، القاهرة، ط1 - ص93

² المصدر، محمود عبد الغني، ذخيرة الذات، ص 93

الموصل؟ فأصبحت ركبت إليه هو في الخيام إستأذنته في الرواح إلى شيرز لأحضر لي نفقة ومالاً نحتاج إليه...¹.

ثم ليروي لنا سبب ذهابه إلى دشق، تلبيةً لطلب حاكمها، الأمير معين الدين - رحمه الله. حيث قال: "فأقمت فيها ثمانين سنتين، وشهدت فيها عدة حروب، وأجذل لي صاحبها - رحمه الله - العطية...".² يقول لقيت فيها من الضيافة والكرم كل ما يليق بي، إلى أن جرت الأسباب لذهابي إلى مصر. مما أحزن الأمير معين الدين كثيراً على مفارقتي قائلاً: "...والله لو أن معي نصف الناس أضربت لهم النصف الآخر، ولو أن معي ثلثهم لضربت بهم الثلثين، وما فارقتك، لكن الناس كلهم قد تماثلوا علي ومالي بهم طاقة ...".³ ورداً عليه أنشد أسامة بن المنقذ يقول:

"مُعِينُ الدِّينِ كَمْ لَكَ الطَّوْقُ مِنْ بَجِيدِي مِثْلُ أَطْوَاقِ الحَمَامِ
تُعَذِّبُنِي لَكَ الإِحْسَاسَ طَوْعاً وَفِي الإِحْسَاسِ رِقٌّ لِلْكَرَامِ"⁴

ولينتقل بالسرد مباشرة عند وصوله أرض مصر سنة 539 هـ، معبراً عن مدى الترحيب والسعادة بلقاءه. إذا لم يلبث بها مطولاً حتى تولدت الطرقات والإضطرابات آنذاك، بدءاً بالسودان والخلافات التي قامت بها بين الريحانية والجيوشية والإسكندرية والفرحية، والتي تمت بالقضاء على الريحانية. كما يقف أسامة ابن المنقذ على تلك الإضطرابات والصراعات موقف الشاهد على الحدث التاريخي وأهمها: الصراع الذي دار بين نجم الدين بن مصال والأمير سيف الدين بن السلار حول انتزاع الوزارة منه. وجاء ذلك من خلال النص: "... وجلس بعده الظافر بأمر الله، وهو أصغر أولاده. وأستوزر نجم الدين بن مصال شيخاً كبيراً، والأمير سيف الدين الحسن علي بن السلار رحمه الله. إذ ذاك في ولايته، فحشد وجمع وسار إلى القاهرة يريد الوزارة، فجمع الظافر بأمر الله الأمراء في مجلس، [...] هذا نجم الدين وزيري ونائبي، فقالوا [...] نحن سامعون مطيعون...".⁵ وتطورت الأحداث إلى خروج الجيوش. والمقاتلة وجهها لوجه، ما أدى

¹ المصدر السابق، الصفحة نفسها.

² المصدر نفسه، ص 94

³ المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

⁴ المصدر نفسه، صفحة نفسها.

⁵ المصدر نفسه، ص 95.

بوقوع إشتباكات عنيفة بين الأطراف، ولأن ابن المنقذ يروي لنا عن أحداث واقعية، نجده يذكر الكثير من الشخصيات والأماكن ويركز على زمن وقوع الأحداث. وهذا ما يدعم السرد أكثر.

2.3. اللغة: اللغة في النص لغة تقريرية إخبارية مباشرة، لأنها تعرض أحداث تاريخية، بأسلوب أدبي؛ خالي من التعقيد والرخارق اللغوية، جاءت ألفاظ النص بسيطة وواضحة، قريبة من اللغة العامية خادمة لنقل التجربة التاريخية.

- **الضمير النحوي:** من خلال النص يتجلى تماهي الأنا عند ابن المنقذ مع الضمير الجمعي، لأن الذات هذا ضعيفة وواهية كما تطرقنا لها في التعريف سابقاً، فالذات لم تقدم نفسها بصورة الفرد الشاخصة، بل لجأت لتنعمس في ذات الجماعة. وهذا ما يعكس روح التضامن والمصير المشترك في الأحداث التاريخية.

- **الميثاق السيري:** ويظهر في النص الميثاق السيري في التزام الكاتب يسرد تجاربه الحقيقية في الحروب والرحال سواء أن كان مشاركاً فيها، أو يقف فيها موقف الشاهد، ويعمل على تقديمها على أساس وقائع عاشها بنفسه.

3.3. تمثيلات الذات: إذ أن ذات أسامة ابن المنقذ تمثلت في:

- **الذات الإستشارية الحكيمة:** وجاءت في قول ابن المنقذ: " فقال لي صلاح الدين : ما ترى ما فعله هذا الولد المتكل ؟ ... قلت وأي شيء فعل، قال أنفد الي يقول : أبصر من يتولى بلدك، [...] قال: ما قال لي هذا القول أحد غيرك".¹

- **الذات القتالية:** ويبين هذا المقطع ذلك: " .. فخرجنا يوماً من عسقلان نريد الغارة على بيت جبريل وقتالها فوصلنا وقتلناها، ورأيت عند جوعنا على البلد غلة كثيرة فوقفت في أصحابي وقدحنا ناراً وطارحناها في البيادر".²

- **الذات الشاهدة على الحوادث:** ويروي عن حادثة كان شاهداً عليها. وهو جالس في صفة دهليز داره، ويقول: "... فدخل علي شابٌ سلم وجلس [...] وهو يتحدث وإنسان استدعاه فمضى معه [...] فساعة ما حضر ذلك الشاب. بين يدي العادل أمر بضرب رقبتة؛ فقتل...".³

¹ المصدر السابق، ص 93

² المصدر نفسه، ص 102

³ المصدر نفسه، ص 97

المطلب الثاني: سيرة الذات -إبن خلدون-

1. التعريف بإبن خلدون:

"هو ابو مسلم عمر بن أحمد بن خلدون الخضرمي، من أشرف إشبيلية، جملة تلامذة أبي القاسم مسلمة بن أحمد أيضاً، وكان متصوفاً في علوم الفلسفة، مشهوراً بعلم الهندسة والنجوم والطب مشبهاً بالفلاسفة في إصلاح أخلاقه وتعديل سيرته، وتقويم طريقته، توفي في بلده إشبيلية سنة 447هـ"¹.

2. موضوع السيرة:

يتناول إبن خلدون في سيرته التعريف بنسبه ونشأته العلمية، كما يتعرض لذكر أصوله الأسرية التي تمتد للعروق العربية الأصيلة، بمدينة حضرموت اليمنية، إذ يصورها في ظل الظروف والأحداث التاريخية التي عرفت الأندلس بصفة عامة، ومدينة إشبيلية خاصة بين الأزمات والصراعات السياسية، والإضطرابات الداخلية، مما جعل الذات تشكل داخل سياق اجتماعي (أسري) وتاريخي واسع.

3. البناء الفني

1.3. طبيعة الخطاب: ينتمي نوع الخطاب في نص ابن خلدون إلى الخطاب السردى ويتخلله الخطاب العرضي التفسيري، لأن الكاتب لم يكتفي بسرد أصوله وأسرته وانتقالها من الأندلس نحو إفريقيا، بل نجده يلجأ إلى تقديم معلومات مفصلة. حول نسبه، والتي تضمنت عدد أجداده وإمتدادهم عبر الزمن، مستدلاً ببعض الإستشهادات المؤرخة من المصادر الموثوقة، مثلاً من قبل إبن حزم، و أبو حيان، مما أضفى على النص طابعاً تفسيرياً توضيحياً. إذ يتجلى الطابع السردى في النص من خلال إعتداد الكاتب على أسلوب الحكى الإستعادي لتوثيق نسبه ونشأته، حيث لم يستهل نصه بذكر أصل أسرته، وانتقالها من إشبيلية إلى تونس، وتسلسل نسبه، إذ إعتد على السرد الإخباري التوثيقي وعكس ذلك في النص: " وأصل هذا

¹ ينظر إبن أبي أصيبعة، عيون الأنباء وطبقات الأطباء، ج 2، ط1، 1299 هـ/1886م، ص41

البيت من إشبيلية، انتقل سلفنا، عند الجلاء وغلب ملك الجلالقة بين أدفونش عليها، إلى تونس في أواسط المائة السابعة.¹

إعتمد الكاتب على استخدام الأفعال الماضية لاستعادة الحكي من الماضي مثل: (إنتقل، بعث، إجتمع، دخل، إستولى، ولدت...). وستدل من النص بذكر بعض المقاطع السردية الدالة على تسلسل الحدث: بدءاً بعرض النسب حيث يقول: "عبد الرحمن بن محمد بن محمد بن محمد بن حسن بن محمد بن جايده [...]"، ويغلب على الظن أنهم أكثر وأنه سقط مثلهم عدداً لأن ابن خلدون هذا هو الداخل إلى الأندلس²؛ فيمثل هذا المقطع خطاباً عرضياً. لأن الكاتب يذكر أنساباً وتفصيل دون حدث. ثم يبدأ بسرد واقعة حجرة بن عدي الكندي ويقول في النص: "ولما كانت واقعة حجرة بن عدي الكندي بالكوفة، إجتمع رؤوس أهل اليمن وفهم أوائل هذا افكانوا مع زياد بن أبي سفيان عليه، حتى أوثقوه وجاؤوا به إلى معاوية فقتله كما هو معروف..."³ ثم ينتقل بالسرد عند انتقال الأسرة إلى الأندلس. حين يقول: "ولما دخل خلدون بن عثمان جدنا إلى الأندلس، نزل بقرمونه في رهط من قومه حضرموت، ونشأ ببيت بنيه بها، ثم انتقلوا إلى إشبيلية وكانوا في جند اليمن، وكان لكريب من عقبة وأخيه خالد، الثورة المعروفة بإشبيلية أيام الأمير المرواني..."⁴

ويبين حدة الصراع في النص: "فلما عظمت الفتنة بالأندلس أعوام الثمانين والمائتين، وكان الأمير عبد الله قد ولي إشبيلية أمية بن عبد الغافر، وبعث معه ابنه محمداً، وجعله في كفالته، وإجتمع هؤلاء النفر وثاروا بمحمد بن الأمير عبد الله وبأمية صاحبهم، وهو يمالئهم على ذلك..."⁵ اذ يشرح الكاتب في هذه المقطوعة بسبب الحدث ويعلل موقفه من هذه الفتنة. وهذا هو الجانب التفسيري في النص. ليختتم نصه بمقطوعة سردية، يتحدث فيها عن مولده ونشأته،

¹ المصدر، ص 117

² المصدر نفسه، صفحة نفسها

³ المصدر نفسه، ص 118

⁴ المصدر نفسه، ص 119

⁵ المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

وعن البلدان التي زارها لكسب العلم، قائلاً: "أما نشأتي فإني ولدت بتونس في غرة رمضان سنة اثنتين وثلاثين وسبعمائة، وربيت في حجر والذي رحمه الله إلى أن أيفعت وقرأت القرآن العظيم على الأستاذ المكتب أبي عبد الله محمد بن سعد بن برال الأنصاري..."¹.

- 2.3. اللغة: اللغة في النص لغة تقريرية إخبارية، استمت بالوضوح والمباشرة لأنها تعكس الكتابة التاريخية، وتهدف لتوثيق الأحداث. وظف خلالها الكاتب الروابط اللغوية مثل: (لما- ثم ف-...) لربط الأحداث مع بعضها البعض وتسلسلها لتحقيق البناء السردي..
- الضمير المتكلم : (الأنا)، إستعمال الكاتب ضمير الأنا، يعني أن الكاتب يتحدث عن نفسه مباشرة، ويجعل النص سرداً ذاتياً (الإثنوغرافيا) كما جاء في النص قائلاً : " ولدت بتونس في غرة رمضان..." وهذا ما يعزز صدق الحكاية، ويقرب القارئ من الأحداث التي عاشها الكاتب.
- اما بالنسبة لضمير الغائب: فنجد أن الكاتب لجأ لاستعماله حين وظف قول ابن حزم وأبو حيان، ليدل بذلك على نقل الحديث عن غيره.
- الميثاق السيريوداتي: ويتمثل في تطابق المؤلف والسارد والشخصية، وإتضح النص من خلال قوله: " أما نشأتي فإني ولدت بتونس..."، ما يدل على أن المتكلم هو نفسه الشخصية التي يتحدث عنه النص، وهو الكاتب التي يروي حياته. وبالتالي يتحقق الميثاق السيريوداتي .

3.3. تمثيلات الذات : تجسدت في الذوات التالية:

- الذات المنتمية للأسرة العريقة: حيث يقول: "... وأنه وقد النبي ﷺ. فبسط له رداءه، وأجلسه عليه، وقال: اللهم بارك في وائل بن حجر وولده الى يوم القيامة..."².
- الذات الشاهدة عن الأحداث: حيث ورد ذلك قائلاً: ولدت بتونس [...] وربيت في حجر والدي رحمه الله..."³.
- الذات العالمية: إذ يقول في نصه: "... وقرأت القرآن العظيم على الأستاذ المكتب أبي عبد الله [...] من أشهر شيوخه من القراءات السبع أبو العباس احمد بن محمد..."⁴

¹ المصدر السابق، ص123

² المصدر نفسه، ص118

³ المصدر نفسه الصفحة، نفسها.

⁴ المصدر السابق، الصفحة نفسها.

المطلب الثالث: سيرة الذات -عبد الله ابن بلقين-

1. التعريف بإبن بلقين:

" هو عبد الله بن بلقين بن باديس حبوس بن زيري الملك الثالث والأخير لمملكة غرناطة التي أسسها فرع منحدر من عائلة زيري البربرية الصنهاجية، وذلك بعد سقوط الخلافة الأمومية بقرطبة. ولد في سنة 447هـ/1057م، وعين عند وفاة أبيه بلقين بسيف الدولة عام 456هـ/1064م. فولي عهد لجده الأمير باديس حبوس".¹

2. موضوع السيرة:

يتناول موضوع سيرة سياسية دفاعية، تترصد تجربة الحكم التي مرَّ بها الأمير عبد الله بن بلقين في مراحلها الأخيرة، حيث يتحول النص من مجرد لتسجيل للأحداث الى خطاب سياسي يسعى الى تفسير أسباب سقوط، وتبرير القرارات، في حين تكتشف السيرة عن تداخل متشابك بين الصراع الداخلي، وضعف البنية السياسية، عديات السلطة مع حضور واضح لنزعة دفاعية.

3. البناء الفني:

1.3. طبيعة الخطاب: ينتمي الى الخطاب السردى والحجائي، حيث يتأسس النص في ظاهرة على الخطاب السردى التاريخي، لكنه ينطوي في عمقه على البنية الحجاجية، التي تسعى لتبرير المواقف وتفسير أسباب سقوط غرناطة، مما يجعل النص خطاباً دفاعياً بقدر ما هو سرد تاريخي.

حيث يتجلى الطابع السردى في النص من خلال توضيف الكاتب للأفعال الماضية مثل: (كُنْتُ، بَدَت، دَلَّت، كَانَنْتُ، رَأَيْتُ، وَجَسْتُ، عَلِمْتُ، فَقُلْتُ، اسْتَوْلَى، قَلَقُوا، سَاءَتْ، دَعَوْتُ، أَمَرْتُ، أَرْسَلَ...). والتي بدورها تسهم في بناء تسلسل زمني واضح للأحداث. كما يتجلى السرد أيضاً في تتابع الوقائع والأحداث. والتي تجسدت في المقاطع التالية:

اولا في بداية الحدث حول قضية زناته، حيث يروي لنا إبن بلقين عن ردة فعل جماعة زناته ويقول: " فلما رأى كبار زناته ذلك؛ قلقوا، وساءت ظنونهم، فكنت، متى دعوتهم الى خدمة

¹ ينظر، مذكرات الأمير عبد الله، دار المعارف، مصر، تح: ليفي بروفيسيونال، (د.ط)، (د.ت)، ص7.

- نجدهم عنها عاجزين: من أشرك ومن لم يشرك، فامتنحت على ذلك...¹.
- ثم ليعرض حدثاً سياسياً تمثل في إتخاذ القرار اللازم. قائلاً: " فأمرت بإخراج ثلاثة أنفس ممن يتهم منهم، وكان المأمور بذلك لبيب الخمي، صاحب المدينة ذلك الوقت، وثقناه لتربيتنا له..."².
- ولينتقل بالسرد من القرار الى التنفيذ، ويقول: " وأرسل من قبله الى أولئك المخرجين وإلى من سواهم من بني عمهم، يقول لهم: " إن الطلب قد وقع فيكم من مجلس السلطان وأمرت بإخراجكم، فلا تهنوا، واجتهدوا في التعب غليه وترويعه!..."³. وهكذا تم عرض الوقائع والأحداث بتسلسل زمني منطقي يعكس طبيعة الحكي السردى للنص.
- أمّا بالنسبة للمقاطع الحجاجية فتمثلت في: تفسير موقف زناتة حين يقول: " فقل لي: إن كبارهم يفسدون صغارهم، ولو أنك تخرج غوغاءهم، لصلح لك سائرهم!"⁴.
- 2.3. اللغة: اللغة في النص جاءت لغة مباشرة، قليلة الزخرف، لأنها تركز على نقل الوقائع وتبريرها، ولأنها تخدم غايتي السرد والحجاج. كما هيمنت الأفعال الماضية على النص، لترسيخ الطابع السردى التاريخى التوثيقى. ولكي تخلق تسلسلاً زمنياً واضحاً.
- الضمير المتكلم: يظهر من خلال الأفعال التالية: (أمرتُ، قلتُ، رأيتُ، ...) كأفعال ضمنية تدل على من قام بها.
- الميثاق السيري: يتحقق من خلال تطابق الكاتب والسارد والشخصية، ويتمثل حضور الكاتب في النص من خلال الأفعال التالية: (أمرتُ، قلتُ...) وهذا ما يثبت بأن السارد هو الكاتب.
- 3.3. تمثلات الذات:
- الذات الحاكمة والقيادية: ويتجلى ذلك في النص من خلال: " فلمّا كان يوم آخر، خرجت بنفسى الى عرضهم كي لا يبطن على من تقدم ذكره، فأمرت بالبريح عليهم وإحضار الزمام..."⁵.
- الذات الحكيمة في السياسة: ويتجلى ذلك في إتخاذ القرارات التي تخدم مصلحة شؤون الدولة.

¹ المصدر، ص 156² المصدر نفسه، الصفحة نفسها.³ المصدر نفسه، الصفحة نفسها.⁴ المصدر نفسه، صفحة نفسها.⁵ المصدر نفسه، ص 157

المطلب الرابع: سيرة الذات - للمؤيد بالله محمد بن إسماعيل -

1. التعريف بالمؤيد بالله محمد بن إسماعيل:

" هو العلامة الزاهد الإمام المؤيد بالله محمد بن إسماعيل بن القاسم بن محمد، أجمع من ترجم له بالصلاح والورع، مولده سنة 1044 هـ، وعاش في بحبوحة الإمارة والملك، والده المتوكل على الله إسماعيل. والذي إنتعشت في زمانه الحياة العلمية والفكرية فكانت من أحسن الدول في الأمن والدعاة والخصب والبركة، والمؤيد منها نصيب، كما أنه قد قلد والده في عدة مناصب بالرغم من صغر سنه (سن العاشرة). من مؤلفاته: مصادر الفكر الإسلامي، لبّ الأساس، تفسير القرآن الكريم..."¹

2. موضوع السيرة:

تناول موضوع النص جزءاً من مذكرات المؤيد بالله، حيث تعد المذكرات جزءاً من التاريخ، ويقول الدكتور عبد العزيز شرف: "... والشكل الوحيد الذي له صلة، والذي من الصعب، إن لم يكن من المستحيل فصله منطقياً عن السيرة الذاتية هو المذكرات، فكتب المذكرات عادة هو شخص لعب دوراً مصيرياً في التاريخ"، حيث تناول المؤيد في سيرته إدارة المال العام، وفق منظور ديني وأخلاقي، مع حرصه على العدل والنزاهة في التصرف، وعرضه لأحداث واقعية تتعلق بالزكاة والديون والنزعات، قصد توثيق سيرته الذاتية في إطار المسؤولية السياسية والدينية.

3. البناء الفني:

1.3. طبيعة الخطاب: يهيمن على النص الخطاب السردى، وذلك من خلال عرض تسلسل الوقائع، وكذلك غلبة أفعال الكاتب على الأفعال الماضية الدالة على الحكي الاستعادي، ويتداخل معه الخطاب التفسيري، لشرح بعض المواقف وتعليل بعض التصرفات، كما يتخلله الطابع الحجاجي في المواقف التي يريد أن يبررها فيها عن نفسه مثلاً: "... لم أستغرق

¹ ينظر، المؤيد بالله محمد بن إسماعيل، مذكرات المؤيد بالله محمد بن إسماعيل، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر، (د-ب)، تح: عبد الله محمد الحبشي، (د-ط)، (د-ت)، ص 7.

شيئاً لنفسه، وإنما هو من مصارف الزكاة، وما صار إلى السادة ونحوهم بنية القرض"¹، ويتجلى السرد في المقاطع التالية: "ما ذكرت في الورقة التي قيل ... وما ذكرته..."².

توظيف الأفعال الماضية الدالة على الزمن الماضي. وأيضاً ينقل لنا أحداثاً واقعية عاشها في زمانه قائلاً: "ثم رأيت هذا من والدي حفظه الله أرسلت للشيخ الأسدي الذي في شلا على بني النمري وعلى بني النويرة وجعلت له ولمن معه خمسين حرفاً"³، وفي مقطع سردي كذلك: "... رجل أظنه اسمه قريط بن القشام، صار يطالب علي الذهبي إن عليّ الحيارى شرى منه حطباً، وإنه بقي له قيمة فليتحقق من الشيخ واصل هل هو القياس..."⁴، فالمقطع يثبت واقعة اجتماعية، ولا سيما النزاع عن الدين، وفي مقطع إخباري يقول وهو يشرح ويفسر: "... النفاة، التي نفعت بها الجماعة في الحياة عزم عليها بني الحمام من أهل غربان وهي عشرين حرفاً"⁵.

2.3. اللغة: تتسم اللغة في النص بالبساطة والمباشرة لأنها تميل إلى الطابع التقريري الإخباري، القائم على نقل الوقائع بصيغ ماضية، في حين جاءت ألفاظ النص تحمل حمولة دلالية تعكس المرجعية الدينية لدى الكاتب، وجاء أسلوب النص تفسيري تعليلي لأن الكاتب يذكر المواقف ويبررها.

- ضمير المتكلم: ظهر خلال الأفعال التالية: (ذَكَرْتُ، أَرْسَلْتُ،...)، مما أضاف على النص الطابع السردى الذاتى، حيث يصور الكاتب نفسه كشاهد متفاعل مع الأحداث، مما يعقد اتفاقاً ضمناً بين الكاتب والقارئ، وأن ما سيرويه حقيقي ويخصه هو. ليتحقق بذلك الميثاق السري.

3.3. تمثيلات الذات: تجسدت في عدة ذوات منها:

الذات التعليمية: يمثل نفسه كمعلم ومرشد، حيث لا يستعرض حياته للافتخار، بل ليجعل من تجربته "ذخيرة" يستفيد منها الأتباع، فتتحول الذات الفردية إلى "نموذج" أو "قدوة"

¹ المصدر، ص 86.

² المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

³ المصدر نفسه، الصفحة 87.

⁴ المصدر نفسه، ص 88.

⁵ المصدر نفسه، صفحة نفسه

أخلاقية ومعرفية.

- الذات المتواضعة: رغم علو مكانته، تبرز في ثنايا مذكراته تمثلات الذات «الفقيرة إلى الله»، التي تنسب كل فضل أو نجاح للتوفيق الإلهي، وهو تمثل يوازن بين سلطته الدينية كداعية وبين خضوعه الروحي كعابد.

بالنسبة لهذا المبحث فقد امتاز بأسلوب السرد الإخباري لتوثيق الأحداث والتواريخ وكان حضور الأنا فيه ضعيف نوعاً ما لأنه اعتمد على توثيق الأحداث التاريخية والتسلسل الزمني، كذلك في ربط الأحداث مما جعل اللغة تبدو واضحة لأنها تعرض أحداث الواقع فجاءت السيرة الروحية تعاكس هذه السيرة من خلال غوص أصحابها في وجدانهم كما سنرى في المبحث الأخير.

المبحث الرابع: سيرة الذات الروحية

- المطلب الأول: سيرة الذات -الغزالي -
- المطلب الثاني: سيرة الذات - المؤيد بالله محمد
الحكيم الترمذي -

المبحث الرابع: سيرة الذات الروحية

تعددت السير الذاتية واختلفت محتوياتها، باختلاف حضور الأنا في مضامينها، فهناك من كتب من أجل توثيق مساره العلمي، وبيان مراحل تكوينه ونبوغه، وهناك من قصد إثارة القارئ، فأبرز وجدانه ومشاعره، والآخر عمد إلى توثيق أحداث جرت له أو كان شاهداً عليها، فكانت نتاجاً للسير العلمية، والأدبية، والتاريخية. غير أن السيرة الروحية والتي اختلفت عليهم جميعاً لانعطاف كتّابها نحو عالمهم الروحي الخاص.

وفي هذا السياق يقول شوقي ضيف: "إن المتصوفة عنوا بالحديث عن تجاربهم الروحية وكأنهم يريدون بها جذب الناس إلى طريقهم وما فيها من مواجد ومشاعر ومقامات وشاهدات، وقلما اعترفوا بأخطائهم أو تحدثوا عن نقائصهم، ومع أنهم يطرفوننا أكثر من المتفلسفة والعلماء، بوصفهم لتجاربهم الدينية..."¹

المطلب الأول: سيرة الذات - الغزالي-

1. التعريف بالغزالي:

"هو أبو حامد محمد بن محمد الغزالي، كان يدعو العامة بالغزالي، وهو أكبر علماء الكلام، يُعد أحد أئمة المذهب الشافعي، ولد في طوس إحدى مدن خراسان عام 450هـ - 1058م، درس العلوم ببلده، ثم رحل لطلب العلم إلى نيسابور، ظهرت عليه علامات الذكاء الخارق منذ صباه. توفي سنة 505هـ - 1111م، ومن مؤلفاته: «إحياء علوم الدين» وأشهرهم «كتاب المنقذ من الضلال»."²

2. موضوع السيرة:

من خلال النص نجد "أن الصوفي لا يروي ما جرى له في العالم بل ما جرى له في نفسه، إذ تصبح الكتابة، أداة لفهم التحول الروحي المعرفي".³ وهذا ما يعكس موضوع السيرة لدى الغزالي، حين

¹ شوقي ضيف، الترجمة الشخصية، دار المعارف، ط 4، ص 1.

² مصطفى لطفي جمعة، تاريخ فلسفة الإسلام، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة، مصر، (د.ط.)، (د.ت)، ص 83-84.

³ علاء علي عايدة، أدب السيرة الذاتية في التراث العربي، مجلة أوراق ثقافية، بيروت، لبنان، العدد: 42، 19 جانفي

2016م - (د.ص).

تناول موضوعه «رحلة البحث عن الحقيقة»، إذ يستعرض مراحل الشك في نفسه ومساءلة المذاهب وإستهدافها، لكي يصل إلى الحقيقة واليقين الصوفي.

3. البناء الفني:

1.3. طبيعة الخطاب: ينتمي نص الغزالي إلى الخطاب السردى و الخطاب الحجاجي؛ لأن الكاتب لم يتطرق لعرض فكره الروحي فقط، بل سعى للأدلة والحجج كوسيلة لإقناع القارئ، وفق قالب تسلسلي يعرض فيه الكاتب رحلة الشك باحثاً عن الحقيقة المتخفية. ويتجلى الخطاب السردى في استعادة الكاتب لتجربته الروحية والفكرية الممتدة عبر الزمن، ويظهر ذلك من خلال توظيفه للأفعال الماضية بكثرة، الدالة على الحكي الإستعادي: (أحسن، جاء، ظن، مات، قال ألقى، قام إلخ). واعتمد تتابع السرد وترابط أجزاءه فيما بينها. متبداً رحلته الشكية من منطلق التقليد ثم الشك ثم البحث ثم اختيار المذاهب لطلب الحقيقة، واستعمال عبارات تحدد التسلسل الزمني العمري للغزالي، ويعكس ذلك المقطع التالي: "...وقد كان التعطش إلى إدراك الأمور دأبي، ديدني، من أول أمري وريعان عمري؛ غريزة وفطرة من الله، وضعتها في جبلي ...".¹

ثم يعبر عن تجربة الغوص في البحث المعق خلال شبابه قائلاً: "... ولم أزل في عنفوان شبابي و(ريعان عمري) منذ راهقت البلوغ، قبل بلوغ العشرين إلى الآن، وقد أناف السن على الخمسين، أقتحم لجة هذا البحر العميق، أخوض غمرته خوض الجسور...".² وينتقل بالسرد من ذكر أولى الحجج في مرحلته الفكرية نحو الشك قائلاً: "... حتى انحلت رابطة التقليد وانكسرت عليا العقائد الموروثة، ... إذ رأيت صبيان النصارى لا يكون لهم نشوء إلا على التنصر وصبيان اليهود لا نشوء لهم إلا على الشهود وصبيان المسلمين لا نشوء لهم إلا على الإسلام...".³ كما عمد إلى ربط هذه العبارات بعضها ببعض بأدوات الربط (ف - ثم - فأمّا - فإذا..) وهي تدل على الترتيب والتعاقب مثل: (ما استفدته أولاً، ... ثانياً، ... ثالثاً..). مما يجعل النص يبدو كبنية سردية متماسكة، تعبر عن رواية تجربة فكرية تنبض بالماضي البعيد.

¹ المصدر، ص 76.

² المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

³ المصدر نفسه، ص 76-77.

2.3. اللغة: اللغة في النص تعكس شخصية ذاتية صوفية دينية، لتوظيف الأحاديث النبوية وبعض الآيات القرآنية. فامتازت اللغة بالألفاظ الجزلة القوية الدالة على الفصاحة و البلاغة مثل "لجة البحر العميق" وهي سمة قديمة في التراث العربي القديم (الجزالة).

- ضمير المتكلم: ويتجلى في الصيغ التالية: (أحكي لك، قاسيته، استجرات، فتشت، فوجدت نفسي، أتأمل، أنظر ... إلخ)، فهي تبرز حضور الذات داخل النص وتثبت بأن الكاتب هو الذي يتحدث.

- الميثاق السيري: وبما أن الكاتب يصرح بأنه سوف يرد على جماعة إخوان الدين، في مساءلته عن العلوم، فهو يصرح بأنه سوف يحكي ويروي عن حقائقه، مما يحقق التطابق بين الكاتب والشخصية والسارد، وبالتالي عقد الميثاق السيري.

3.3. تمثيلات الذات:

- الذات الباحثة السائرة نحو الحقيقة: وتتجلى في "... في تضاعيف تقديسي عن أهويل الخلق من الباب الحق..."¹.

- الذات الموسوعية: في قوله: "... أقتحم لجة هذا البحر العميق، أخوض غمرت..."².

- الذات المجتهدة: وتتجلى في قوله: "... وأحكي لك ما قاسيته في استخلاص الحق، من بين اضطرابات الفرق وتباين المسالك..."³.

المطلب الثاني: سيرة الذات – أبو عبد الله محمد الحكيم الترمذي-

1. التعريف بالمؤيد الحكيم الترمذي:

"هو أبو عبد الله محمد بن علي بن الحسن بن بشير الترمذي، الملقب بالحكيم الترمذي، وهو باحث وعالم وأصول الدين، من كبار مشايخ خراسان، ومن أبرز مشايخ الصوفية التي كانت في القرن 3 هـ؛ ولد بترمذ سنة 932 هـ، نفي من بلده بسبب كتاب ألفه، خالف ما عليه أهله، وهو في عمر تسعين (90) سنة. من مؤلفاته: «عروس الموحدين»، «العقل والهوى»، «الأدعية»، «علل الشريعة»، وغيرها..."⁴

¹ المصدر السابق، ص75

² المصدر نفسه، ص76

³ المصدر نفسه، ص75

⁴ الموقع الإلكتروني: الحكيم الترمذي، 12 أبريل 2026 ويكيبيديا Wikipedia.org.

2. موضوع السيرة:

يتناول موضوع نص المؤيد بالله تجربته الفكرية والروحية، فيعرض مراحل تكوينه العلمي منذ صغره (سن الثامنة) إلى شبابه (سبعاً وعشرين سنة)، حيث يذكر بدايات وعيه، ويبين وكيف أسهمت تجاربه وتأملاته في تشكيل شخصيته الدينية.

3. البناء الفني:

6.1. طبيعة الخطاب: إمتاز نوع الخطاب في نصه بين الخطاب السردى والحجاجي؛ حيث لم يعتمد الكاتب على سرد وقائعه فقط، وإنما لجأ للتفسير والتبرير على بعض المواقف التي أثرت في حياته، مما أضفى على النص سمة البعد الحجاجي. ويتجلى السرد في النص من خلال استخدام الكاتب للأفعال الماضية بكثرة حتى هيمنت على النص مثل: (أرى، قاربت، كان، وقع، جعل، سلط، سار، رزق، كتب...) والتي دلت على وقوع الأحداث في الزمن الماضي، فعمل الكاتب على تذكرها واسترجاعها. كذلك اعتمد الكاتب على أدوات الربط مثل: (ف، حتى، ثم، بينما...) الدالة على التوالي والترادف والتتابع والانتقال لحدث لآخر. كما استخدم لغة الحوار في النص، والتي تدعم البنية السردية قائلاً: فأقول له: أحب أن تقول لي من أنتم؟ ثم قالوا: "إن الله قادر على ... قولي لي ... فأقول له ... فيقال لي ... فقلت في ...

ذكر مراحل التحول والتطور في الحياة، مما يعكس الطابع السردى داخل النص وتتابع الأحداث وتسلسلها بدءاً من: الصغر ثم الشباب ثم الكهولة ...، ويعكس هذا في النص قائلاً: "...من لدن بلغت السن ثمانياً، يحملني على تعلم العلم ..."¹، ثم ليواصل بالسرد والحجاج نحو المواقف الفكرية التي اهتم بها، كما اهتم بالبدعة والعناد. ويتجلى ذلك في النص: "...لما كان يديعون هؤلاء، عليّ من الكلام القبيح، ويشنعون أمري ويرمونني بالبدعة؛ من غير أن يكون ذلك من شأني ..."².

¹ المصدر السابق، ص50.

² المصدر نفسه، ص53.

فرد عليهم بالكلام والحجج حتى يبعدهم على ما ارتكبه في حقه، قائلاً: "... فذكرت من الكلام شيئاً كأنه يغترف من البحر وذهبت تلك الأكاذيب الباطلة، ووقع الناس في التوبة." ¹

2.3. اللغة: لغة النص تعكس شخصية الكاتب الفكرية والدينية. حيث جاءت ألفاظه قوية، موحية، فخمة مما جعلها جزمة دالة على قوة أسلوب الترمذي؛ المتمكن من اللغة العربية كصفة لصيقة بالقدامى.

- ضمير المتكلم: الصيغ التالية: (إني رأيت في المنام، ألقى عليّ، بينما أنا ذات ...) تثبت أن الذات تتحدث عن نفسها وتروي أحداثها وذكراياتها شخصياً.

- الميثاق السيري: يتجلى من خلال الصيغ التي ذكرناها أعلاه. فيؤكد تطابق الكاتب مع الشخصية والسارد، مما يدل على تحقيق الميثاق السيري؛ أن الكاتب يسرد أحداثه بنفسه.

3.3. تمثلات الذات:

- الذات الروحية: ويتجلى ذلك في النص من خلال: "... كأني رسول الله صلى الله عليه وسلم دخل المسجد الجامع ..."

- الذات المتدينة: ويعكس ذلك في النص قائلاً: "... بينما ذات يوم أصلي - فثقلت فوضعت رأسي على مصلاي ..."

- الذات المظلومة: حيث يقول: "... كانوا يذيعون ... عليّ من الكلام القبيح ... ويرمونني بالبدعة ..."

وهذه السير من أكثر السير التي تمثل حضوراً للأنا بشكل قوي وواضح، أكثر من غيرها لأنها اعتمدت على مجاهدة النفس والتمثل الصوفي والروحي لأصحابها، مما عكس على ربط التجربة الوجدانية والتأملات الفكرية العميقة بين الصدق والخيال؛ من أجل البوح والاعتراف بالآزمات النفسية.

وفي الأخير نستخلص مما أوردنا ذكره، أن كل السير الذاتية تجمعهم اللغة، لكن ما يجمع بين السيرة الذاتية الأدبية والروحية هو حضور الأنا بشكل غير واضح مع مزج الصدق بالخيال؛ بينما السيرة الذاتية العلمية والتاريخية اشتركت في حضور الأنا بقوة، ونوع من الصدق في التجربة.

¹ المصدر نفسه، صفحة نفسها.

خاتمة

خاتمة:

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، والحمد لله حتى يبلغ الحمد منتهاه، وبعد التوفيق من المولى الكريم، وددت أن أختتم بحثي هذا، والذي تم فيه التعرف على مفهوم السيرة الذاتية في التراث العربي، بهدف الكشف على الملامح الفنية، والتي كُتِبَتْ بها السيرة الذاتية قديماً، توصلت إلى النتائج التالية:

1. السيرة الذاتية ليست بذلك الفن المستحدث عندنا، بل عرفه أدبنا العربي القديم منذ العصور الأولى، وكان على شكل إرهاصات أولى، تضمنتها داخل الخطابات المتعددة.
2. السيرة الذاتية هي المادة الخام لكتب التراجم، حيث تمكن الفرق بينهما باعتبار السيرة الذاتية سرد ذاتي لتجربة حياة صاحبها، بينما الترجمة هي التي تحيل على خلاصات موجزة لأشخاص بموضوعية تامة.
3. تعددت مضامين النصوص السيرية، واختلفت بين السير العلمية والأدبية، والأخرى تاريخية وكذلك الروحية.
4. لم يكتب أصحاب السير الذاتية داخل خطابات التقديم لمجرد التعريف بأنفسهم فقط، بل كتبوا من أجل تحقيق غاياتهم التالية: التبرير، والتعليل، والدفاع عن النفس، وكذلك الإعراف.
5. فمن الخصائص الفنية للكتابة الذاتية، توظيف ضمير المتكلم (أنا) للإثبات الذات، أو توظيف ضمير الغائب للتحديث بموضوعية تامة داخل النصوص السيرية.
6. إعتما د كاتب السيرة الذاتية على الصيغ الماضية، الدالة على استعادة الوقائع في الماضي.
7. تنوعت طبيعة الخطاب في النصوص السيرية التراثية بين عدة أساليب منها: الخطاب السردى والوصفي والتفسيري وخاصة الحجاجي، لأن الكاتب لجأ لإعادة نسج تجاربه من أجل الشرح أو التعليل أو الدفاع عن النفس.
8. كما تعددت تمثلات الذات كذلك داخل الخطابات بين الذات العاملة والذات الكتابة والذات المتألمة والذات الشكاكة والأخرى الشاهدة..... الخ

قائمة المصادر والمراجع

❖ القرآن الكريم، برواية ورش عن نافع.

• قائمة المصادر والمراجع:

- محمود عبد الغني، ذخيرة الذات، منشورات الضفاف، بيروت، لبنان، ط1، 1437هـ-2016م.

• المراجع العربية:

- أنطونيوس بطرس، الأدب تعريفه، أنواعه، مذاهبه، المؤسسة الحديثة للكتاب طرابلس، لبنان، ط5، 2005م.

- إحسان عباس، فن السيرة، دار الشروق، عمان، الأردن، ط1، 1996م.

- ابن أبي أصيبعة، عيون الأنباء في طبقات الأطباء، ج2، ط1، مصر، 1299هـ/1882م.

- تهماني عبد الفتاح شاكر، السيرة الذاتية في الادب العربي، دار فارس للنشر، بيروت لبنان، ط1، 2002م.

- حسن محمد عبد الغني، التراجم والسير، نخبة من أدباء الأقصار العربية، (د-م-ن)، (د.ط)، 1955م.

- الإمام بن الحزم الظاهري، دار القلم، دمشق، سوريا، ط1، 1445هـ-1995م.

- شمس الدين السخاوي، الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، دار الجيل، بيروت، لبنان، ج1، (د.ط)، (د-ت).

- شوقي ضيف، الترجمة الشخصية، دار المعارف النيل، القاهرة، ط4، (د.ت).

- صالح معيض الغامدي، كتابة الذات، دراسات في السيرة الذاتية، المركز الثقافي العربي، بيروت، لبنان، ط1، 2013م.

- عبد العزيز شرف، أدب السيرة الذاتية، مؤسسة الأهرام للنشر والتوزيع، القاهرة، (د-ط)، 1998م.

- عباس أرحيلة، هاجس الإبداع في التراث، المؤسسة العربية للفكر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط1، 2017م.

- الأمير عبد الله، مذكرات الأمير عبد الله، دار المعارف، مصر، تح: ليفي بروفنسال، (د.ط)، (د.ت).
- فليب لوجون، السيرة الذاتية، الميثاق والتاريخ الأدبي، المركز الثقافي العربي، بيروت، لبنان، تر: عمر حلي، ط1، 1994م.
- محمود عبد الغني، فن الذات، دراسة في السيرة الذاتية لإبن خلدون، دار أزمنا، عمان، ط1، 2006م.
- مصطفى لطفي جمعة، تاريخ فلاسفة الإسلام، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة، مصر، (د-ط)، (د-ت).
- محمد بوعزة، تحليل النص السردي، تقنيات و مفاهيم، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط1 1431هـ-2010م
- المؤيد بالله محمد بن اسماعيل، مذكرات المؤيد بالله بن اسماعيل، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر، (د-ب)، تح: عبد الله محمد الحبشي، (د-ط)، (د-ت).
- الهاشم أسمر، عتبات المحكى القصير في التراث، المؤسسة العربية للفكر.
- يحيى إبراهيم عبد الدايم، الترجمة الذاتية في الأدب الحديث، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، (د-ط)، (د-ت).
- يوسف وغليسي، على مشارف النص، جسر للنشر والتوزيع، الجزائر، ط1، 1438هـ-2017م.
- المعاجم العربية:
- إبراهيم فتحي، معجم المصطلحات الأدبية، التعااضدية العمانية، صفاقس، (د.ط)، 1986م.
- جبور عبد النور، المعجم الأدبي، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ط1، ط2، 1984م.
- أبي القاسم جار الله الزمخشري، أساس البلاغة، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، تح: محمد باسل عيون السود، ج1، ط1، 1419هـ-1998م.
- ابن منظور، لسان العرب، دار المعارف النيل، القاهرة، تح: عبد اله علي الكبير، هاشم محمد الشاذلي، ج4(د-ط)، (د-ت).

قائمة المصادر والمراجع

- ابن منظور، لسان العرب، ج4، ط1،
- مجمع اللغة العربية، المعجم الوسيط، مكتبة الشروق، مصر، ط4، 1425هـ - 2004م.
- ياقوت الحموي، معجم الأدباء، بيروت، لبنان، تح: إحسان عباس، ج5، ط1، 1993م.
- أطاريح الماجستير والدكتوراه:
- بزالة مريم، ملامح التجديد في رواية "ذات لفتح الله إبراهيم"، مذكرة ماستر، جامعة خيضر، بسكرة، 2019م.
- باشا مليكة، إسهامات حنين بن إسحاق في تأسيس وتأمل الممارسة الترجمية، مجلة الآداب واللغات، جامعة أبي بكر، العدد: 01، الجزائر.
- ناصر بركة، أدبية السير الذاتية في العصر الحديث، رسالة دكتوراه، جامعة الحاج لخضر، باتنة، 2012-2013م.
- المجالات والدوريات:
- أحمد دواح، السيرة الذاتية في الادب العربي القديم، مجلة نومريس الأكاديمية، جامعة مغنية، الجزائر، العدد: 02، 2020.
- باشا مليكة، إسهامات حنين بن إسحاق في تأسيس وتأمل الممارسة الترجمية، مجلة الآداب واللغات، جامعة أبي بكر، العدد: 01، الجزائر.
- عبد المجيد البغدادي، فن السيرة الذاتية وأنواعها في الادب العربي، مجلة القسم العربي، جامعة لاهور، باكستان، العدد: 23، 2016م.
- علاء عايده، أدب السيرة في التراث العربي، مجلة أوراق ثقافية، بيروت، لبنان، العدد: 42، 19 جانفي 2016م.
- المواقع الإلكترونية:
- موقع إل/تروني: الآن ماشرون وموزعون، الرئيسة، مؤلفون، مبدعون، تاريخ الزيارة: 02 مارس 2026، سا: 14:44.
- موقع إلكتروني، الشمال، <https://achamal24.ma/archives/3166> الساعة: 10:12.

- موقع إلكتروني: سا: 14:00: ويكيبيديا. Arg. Wikipedia.
- ابن الخطيب (لسان الدين): الإحاطة في أخبار غرناطة، تحقيق: محمد عبد الله عنان، ج1، ط2، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1973م.
- الفيروز أبادي (مجد الدين محمد بن يعقوب): القاموس المحيط، تحقيق: محمد نعيم العرقسوسي، مؤسسة الرسالة، بيروت، (د.ط)، (د.ت).
- عبد المالك أشهبون : عتبات الكتابة في الرواية العربية ، ط1، دار الحوار للنشر والتوزيع، اللاذقية، سوريا، 2009م.
- خير الدين الزركلي : الأعلام (قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء) ، ج3، ط3، دار العلم للملايين، بيروت، 1998م.
- عبد الفتاح كيليطو : الحكاية والتأويل: دراسات في السرد العربي ، ط1، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، المغرب، 1988م.
- محمد التونجي : المفضل في الأدب ، ج1، ط2، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1999م.
- محمد بوعزة : تحليل النص السردي: تقنيات ومفاهيم ، ط1، منشورات الاختلاف، الجزائر، 2010م.
- محمد عبد الله أبو صعليك : الإمام ابن حزم الظاهري، ط1، دار القلم، دمشق، سوريا، 1995م.
- محمود عبد الغني : ذخيرة الذات ، ط1، منشورات الاختلاف، الجزائر العاصمة، 2016م.
- الراغب الأصفهاني : المفردات في غريب القرآن ، تحقيق: مركز الدراسات والبحوث بمكتبة نزار مصطفى الباز، (د.ط).

فهرس الموضوعات

الصفحة	العنوان
-	الشكر والتقدير
-	الإهداء
-	الملخص
أ-ج	المقدمة
تمهيد	
2	تمهيد
2	1. تعريف أدب السيرة
5	2. تعريف السيرة الذاتية
8	3. أدب التراجم
9	4. خطابات التقديم
10	5. وصف عنوان الكتاب
11	6. التعريف بالمدونة
29-15	المبحث الأول: سيرة الذات العلمية
15	المطلب الأول: سيرة الذات -حنين ابن إسحاق-
20	المطلب الثاني: سيرة الذات - الشيخ الرئيس ابن سينا-
24	المطلب الثالث: سيرة الذات - علي ابن رضوان-
26	المطلب الرابع: سيرة الذات - لشمس الدين السخاوي-
43-31	المبحث الثاني: سيرة الذات الأدبية
31	المطلب الأول: سيرة الذات - ابن حزم الأندلسي-
35	المطلب الثاني: سيرة الذات - لأبو الحيان التوحيدي -
39	المطلب الثالث: التوحيدي - فصل في حال الكاتب-

فهرس الموضوعات

40	المطلب الرابع: سيرة الذات - لسان الدين بن الخطيب -
56-45	المبحث الثالث: سيرة الذات التاريخية
45	المطلب الأول: سيرة ذات -أسامة بن المنقذ-
49	المطلب الثاني: سيرة ذات -إبن خلدون-
52	المطلب الثالث: سيرة ذات - عبد الله ابن بلقين -
54	المطلب الرابع: سيرة الذات -للمؤيد بالله محمد بن إسماعيل-
62-58	المبحث الرابع: سيرة الذات الروحية
58	المطلب الأول: سيرة الذات -الغزالي-
60	المطلب الثاني: سيرة ذات - لأبو عبد الله محمد الحكيم الترمذي -
64	خاتمة
66	قائمة المصادر والمراجع
72	ملخص حول السير الذاتية وخصائصها
74	فهرس الموضوعات